كتاب الشرق الأوسط
جريدة العرب الدولية

رجال «القاعدة» في إيران

الملاذ الآمن والتحالف المشبوه



هاني نسيرة
محمد الشافعي

www.aawsat.com



أسَّسها سنة 1978
هشام ومحمد علي حافظ

رئيس التحرير
سلمان الدوسري
Salman Aldossary
Editor-in-Chief

نائب رئيس التحرير
علي إبراهيم
Ali Ibrahim
Deputy Editor-in-Chief

مساعدا رئيس التحرير
عيدروس عبد العزيز
زيد كمي
Aydaroos Abdelaziz
Zaid Kami
Assistants Editor-in-Chief

كتاب الشرق الأوسط

رجال «القاعدة» في إيران

الملاذ الآمن والتحالف المشبوه

هاني نسيرة   محمد الشافعي

الكتاب: رجال «القاعدة» في إيران .. الملاذ الآمن والتحالف المشبوه

إعداد: هاني نسيرة / محمد الشافعي

الشركة السعودية البريطانية
للأبحاث والتسويق

الطبعة الأولى
أغسطس/آب 2016
ISBN 978-614-418-321-2

التوزيع: **جداول** للنشر والترجمة والتوزيع

رأس بيروت - شارع كراكاس - بناية البركة - الطابق الأول
هاتف: 00961 1 746638 - فاكس: 00961 1 746637
ص.ب: 5558 - 13 شوران - بيروت - لبنان
e-mail: d.jadawel@gmail.com
www.jadawel.net

المحتويات

مقدمة الناشر

تستأنف «الشرق الأوسـط» نشر الكتب الذي بدأته في سنتها الخامسة والثلاثين، بعمل جديد هو الرابع في سلسلة «كتاب الشرق الأوسط»، وتضمنت: «كتاب أسلوب الشرق الأوسط»، و«كتاب التدريب الصحافي»، و«كتاب دليل المحرر الصحافي»، التي جاءت محصلة لتجربة «الشرق الأوسط» الصحافية المميزة، التي شكلت بدورها، كنوزًا من تجارب فردية ولدت مع ولادتها، وكبرت بها ومعها، وكبّرتها أيضًا.

وتفتتح «الشرق الأوسط»، مشوارها الثاني في هذه السلسلة، بكتاب «رجال القاعدة في إيران.. الملاذ الآمن والتحالف المشبوه»، الذي يعد محاولة جدية لفهم العلاقة بين إيران وتنظيم القاعدة، التي استندت في تشكلها وتطورها، لاحقًا، إلى مرجعية واحدة تتمثل في «الإسلامية السياسية الجهادية».

ويشكل الكتاب الجديد، منعطفًا جديدًا ومختلفًا في اصدارات «الشرق الأوسط»، التي تمحورت في مجموعتها الأولى، حول الصحافة تدريبًا وأسلوبًا وتقنية، إذ تغادر هذا الجانب الأكاديمي التعليمي والمهني التدريبي، بعد أن غطت العديد من جوانبه المهمة، إلى عالم البحث والدراسة والمعرفة، المستندة إلى الوثائق

والمصادر الخاصة. كما يأتي الإصدار الجديد، في سياق توجهات «الشرق الأوسط» وعملها المثابر والدؤوب، في كشف وتعرية كل ما يتعلق بالإرهاب وتنظيماته، ومنها تنظيم القاعدة، وعلاقاته ببعض الدول الإقليمية المساندة والداعمة له، وبضمنها طهران، التي يشكل احتضانها للقاعدة، بأشكال وطرق مختلفة، الخطر الأكبر الذي يتهدد المنطقة برمتها، وتسبب، حتى الآن، في العديد من النزاعات الداخلية والحروب الأهلية الدامية، والانقسامات الطائفية والمذهبية، ونشر الإرهاب على غير صعيد في المنطقة.

وباستئنافها اصداراتها، تكون «الشرق الأوسط» قد قطعت شوطًا إضافيًا في مسار تجربتها الريادية، والتزامها تجاه قرائها، بتقديم كل ما هو جديد في عالم السياسة والأدب والصحافة وميادين المعرفة الأخرى.

سلمان الدوسري

رئيس تحرير «الشرق الأوسط»

تقديم

لم تعد مسألة العلاقة بين إيران وتنظيم «القاعدة» سرًا أو احتمالًا، ولكن حقيقة تواترت الأدلة على ثبوتها، ما يستدعي البناء عليه والاستناد إليه في فهم هذا النظام وتلك الشبكة وتنظيماتها، والبعد البراغماتي والتوظيفي الكامن والمستتر خلف شعارات عدائهما المذهبي المعلنة.

في السابق اندهش كثير من المراقبين لوجود مثل هذه العلاقة بين نظام «الثورة الإسلامية» العالمية الإيراني وبين تنظيمات الثورة الإسلامية في العالم السني، بل واستبعدوا ذلك، في تجاهل شبه تام لوقائعها العملية والتاريخية أو التماهي الأيديولوجي والسياسي الجامع بينهما، سواء في تصورات الحلفاء وتصورات الأعداء، أو تصوّرات مفاهيم «الحاكمية» و«الجهاد» و«حكم الأمير» أو «الفقيه».

إنه التقارب النظري والمرجعي، المتجاوز للاختلاف المذهبي، الذي مهّد للتقارب والدعم العملي من أجل التوظيف المتبادل وتحقيق الأهداف المشتركة وإرهاق العدو المشترك، الذي يبدأ من العدو القريب المتمثل في الأنظمة العربية والإسلامية الأخرى المتهمة بالردة والخيانة، حتى العدو البعيد المتمثل في الغرب

والولايات المتحدة وإسرائيل، مع ملاحظة أن طرفي العلاقة ـ أي إيران أو «القاعدة» ـ لم يخض ضدها مواجهة مباشرة حتى الآن.

لقد أسست لتحالف «القاعدة» ونظام «الثورة الإسلامية» في إيران مرجعية واحدة تمثلت في ما يُسمّى بـ«الإسلامية السياسية والجهادية». وهذه مرجعية ومنطق للسلطة أكثر منها تصور فرقي أو مذهبي، بل يتعالى على الخلافات المذهبية والطائفية، إلا قليلًا، فيجري استدعاؤها وتوظيفها فقط في مناطق أعدائهما المشتركين، أو في مناطق الصراع المحتمل أو القائم بينهما.

يوضح هذا الكتاب أن علاقة إيران بـ«القاعدة» لم تكن علاقة طارئة في ظروف معينة، تحديدًا بعد هروب عناصر القاعدة من أفغانستان سنة 2001، ولكنها أقدم وأعمق من ذلك بكثير. ويكفي أن نذكر أنه في عام واحد مع نجاح ثورة الخميني عام 1979، وقع التوحّد الأول لتنظيم «الجهاد» المصري واحتجاجات عناصره ضد استضافة الرئيس السابق الراحل أنور السادات للشاه محمد رضا بهلوي في العام نفسه. ثم اغتيال السادات وتخليد نظام الخميني اسم قاتله خالد الإسلامبولي. وفي العام نفسه، أيضًا، تأسس تنظيم «الجهاد الإسلامي» الفلسطيني، بقيادة الراحل الدكتور فتحي عبد العزيز الشقاقي، الذي ألّف أول كتاب احتفائي بثورة الخميني باعتبارها الحل والبديل والنموذج الملهم لسائر الحركات الإسلامية والمتشددة في المنطقة.

وشأن كل علاقة، تخضع هذه العلاقة للتحولات والتغيّرات؛

قانون التوافق والتكيف، نظرًا لاختلاف طبيعة طرفيها. فإيران دولة، بينما «القاعدة» شبكة وتنظيم، وإن اشتركت في بعض الأهداف فإن أولوياتهما تختلف أحيانًا، كما تتموّج العلاقة بسياقاتها ومساراتها. إذ اختلفت في فترة ما قبل «أحداث 11 سبتمبر/ أيلول» في الولايات المتحدة الأميركية عنها بعدها. كما اختلفت في فترة الجهاد الأفغاني عن فترة حكم طالبان وما بعدها. وكذلك قبل تحرير العراق وسقوط نظام صدام حسين عما بعد 2003، أو بعد اندلاع الثورة السورية ضد نظام بشار الأسد سنة 2011، ولكن تبقى ممكناتها وحواملها، من تشابه المنطلقات إلى تشارك العداوات، محتملة وقائمة قابلة للتوظيف والتنسيق المتبادل. ومثالًا على ذلك ما نجده من دعم إيران لـ «تحالف الشمال» الأفغاني ضد «القاعدة» وحركة طالبان حتى إسقاط الأخيرة بعد «أحداث سبتمبر».ثم دعمها لها بعد ذلك، لتبقى غصة في حلق القوات الأميركية والدولية فيها. ولقد أعلن القادة الأميركيون والبريطانيون عام 2007، دعم طهران طالبان بالسلاح والعتاد والتدريب عبر «الحرس الثوري الإيراني»، وهو ما أعلنه السفير الأميركي في أفغانستان نفسه[1].

وحتى توقيع الاتفاق النووي مع القوى الكبرى في يوليو/ تموز 2015، أحسنت إيران الاستثمار في علاقتها بتنظيم وشبكة

(1) Damien McElroy, «Iran Helping the Taliban, US Ambassador Claims,» **Telegraph**, December 17, 2009; Sajjan M. Gohel, «Iran's Ambiguous Role in Afghanistan,» CTC Sentinel 3:3 (2010

«القاعدة» إلى حد بعيد. وليس أدل على هذا النجاح من بقائها، كدولة ونطاق جغرافي، استثناء من عمليات «القاعدة» والإرهاب دون بقية العالم، كما كانت استثناء في الحرب عليه، ولكن مصدر إرهاق للمنطقة والعالم من حولها تصنع مختلف الفزّاعات عبر تدخلاتها والحروب بالوكالة عنها.

الفصل الأول

علاقة إيران و«القاعدة»
رحلة مع الوثائق واليقين

مرت علاقة إيران بتنظيم «القاعدة» وفروعه، بمراحل متعددة، انتقلت فيها من السرية إلى العلن، ومن الظن إلى اليقين، ومن التلميحات إلى الاعترافات، حتى صارت حقيقة يصعب إنكارها. ففضلًا عن التلاقي الفكري والأيديولوجي بين مرجعية النظام الإسلامي الإيراني وسائر جماعات «الإسلام السياسي» الواضحة، قبل وبعد تأسيس تنظيم «القاعدة»، لا بد من الإشارة إلى أن عمليات الاستنزاف والاستهداف التي تميّزت فيها القاعدة وفروعها لا شك تأثرت بالخبرة الإيرانية ووكلائها من المليشيات الشيعية المتشددة، في تفجير السفارات واستهداف المصالح الأميركية والغربية الأسبق من سواها، منذ تفجير المليشيات الشيعية مقر السفارة العراقية في بيروت خلال ديسمبر/ كانون الأول 1981، ثم تفجير مقر السفارة الأميركية في بيروت خلال أبريل/ نيسان 1983، وتفجير مقر القوات الأميركية (المارينز) والفرنسية في أكتوبر/ تشرين الأول 1983. ولقد أسفرت العملية

الأخيرة وحدها، عن مقتل 300 عسكري أميركي وفرنسي. ومن ثم، وصولًا إلى تفجير المركز اليهودي في الأرجنتين عام 1994، فضلًا عن خطف الطائرات وغيرها من العمليات التي لا شك ألهمت عناصر «القاعدة» فيما بعد واستفادوا من التدرّب عليها.

ولقد حرص كل من طرفي هذه العلاقة دائمًا، على إخفائها منعًا لإحراج أي منهما، سواء في علاقة إيران بالمجتمع الدولي أو في علاقة كل منهما بقواعده وجماهيره وقد تواترت الأدلة وتوالت الوثائق، حتى اكتملت واتضحت صورة العلاقة بشكل كبير.

وسنعرض في ما يلي لرحلة الوثائق، حسب درجة أهميتها، بدءًا من إقرار أسامة بن لادن، زعيم «القاعدة» ومؤسسها الراحل، بها في ما بات يُعرف بـ «وثائق أبوت آباد»، إلى غيرها من وثائق «أحداث 11 سبتمبر/ أيلول» المتعددة، مرورًا بغيرها من الأدلة والوثائق التي تثبت هذه العلاقة بين التنظيم الإرهابي والنظام الأكثر دعمًا للإرهاب، حسب تقارير الخارجية الأميركية السنوية على مدار العقد الأخير.

أولًا: «وثائق أبوت آباد» وعلاقة إيران ببن لادن

1 ـ التعريف بالوثائق

يقصد بـ «وثائق أبوت آباد»، تلك الوثائق والمخطوطات التي عثر عليها في مقر إقامة مؤسس تنظيم «القاعدة» أسامة بن لادن بعد مقتله في مايو/ أيار 2011 في المنزل الذي كان

يسكنه بمدينة أبوت آباد (شمال شرق باكستان)، وأهميتها تنبعث من كونها تكاد تكون اعترافات التنظيم، عبر مؤسسه وقيادته المركزية. ولقد وردت الإشارة إلى إيران في كثير منها. فبينما كانت باكستان المجاورة لأفغانستان، حيث توجد «إمارة» و«قيادة الجهاد» في عصر طالبان تحمل اهتمامًا ضعيفًا، كان الاهتمام بإيران ـ تحديدًا ـ أكبر وأكثر حضورًا في وثائق زعيم «القاعدة».

وجدت هذه الوثائق في شكل خطابات مكتوبة أو مصورة على الكومبيوتر، وبلغ حجمها 175 صفحة (بالعربية) و197 صفحة (في ترجمتها الإنكليزية). بعضها لم يكن مكتملًا، كما أن الكثير منها لا يحمل تاريخًا. كما لا تحمل كل الرسائل الأسماء الحقيقية لمرسليها أو المرسلة إليهم، أو كناهم، أو عناوينهم. وبعضها تَخصّ غير بن لادن أو الدائرة الأقرب من القيادة المركزية أو قادة الفروع، فيُذكر «أبو يحيي الليبي» و«عطية الليبي» و«آدم غادان»، كما يُذكر «أبو مختار الزبير» زعيم «حركة الشباب» الصومالية، والراحل «أبو بصير الوحيشي» قائد تنظيم «القاعدة في اليمن»، وحكيم الله محسود قائد طالبان باكستان، والملا عمر أمير حركة طالبان وغيرهم.

وجرى رفع السرية عن هذه الوثائق من قبل إدارة الاستخبارات الأميركية، على ثلاث دفعات حتى الآن، كانت كما يلي:

الدفعة الأولى

رفعت عنها السرية في مايو/ أيار 2012، وكانت مجموعة

قليلة (17 وثيقة فقط) ضمت مراسلات بين سبتمبر/ أيلول 2006 وأبريل/ نيسان/ 2011، وتمت دراستها من قبل مجموعة من الخبراء والباحثين، لكنها لم تكن كافية لإخراج علاقة إيران بـ «القاعدة» من السرية إلى العلنية. وهكذا، انتهى باحثوها للقول إنها علاقة لا تصل إلى حد التحالف، وإنها مشحونة بالشك والارتياب من طرفيها، ولكنهم لم ينكروا احتمالات توظيف إيران للتنظيم الإرهابي ضغطًا على الولايات المتحدة، قبل توقيع الاتفاق النووي، أو استنزافًا وإرهاقًا لدول المنطقة والأنظمة المعادية لها في الخليج والعالم[1].

حسب وثائق أبوت آباد الأولى، نجد أن أول علاقة تتضح بين «القاعدة» وإيران بدأت عام 2009، في رسالة بتاريخ 11 يونيو/ حزيران 2009 مرسلة من «عطية» إلى «الشيخ الكريم» ـ ربما أسامة بن لادن أو شخص آخر، إذ لم يحدد الاسم كالعادة ـ يخبره بسعادة أن الإيرانيين أطلقوا سراح مجموعة من الإخوة الشهر الماضي، وأنهم أخبروا الشخص الوسيط بين الطرفين احتمال أن يسلموا له أسرة بن لادن؛ الزوجات والأطفال، باستثناء الرجال، خلال أسبوع من تاريخ الخطاب.

الدفعة الثانية

رفعت السرية عنها يوم 20 أيار/ مايو 2015، وضمت 103

(1) Nelly Lahoud (With others), Letters from Abbottabad: Bin Laden sidelined?, The Combating Terrorism Centre at West Point(CTC), 3 May .2012, p42- 47

وثائق، لامس بعضها بشكل واضح، هذه العلاقة وتصوّرات بن لادن للعلاقة بإيران وحربها وغير ذلك. وعن العلاقة مع إيران تطالعنا في هذه الدفعة، رسالة لبن لادن من «أبو عبد الرحمن أنس السبيعي»، وهو نفسه «أبو أنس الليبي» (توفى سنة 2015 قبل محاكمته في الولايات المتحدة) مؤرخة في 5 ذو القعدة 1431 الموافق 12 تشرين الأول/ أكتوبر 2010، حول مجموعات «القاعدة» في إيران. وحسب الرسالة كان لجوء عناصر «القاعدة» إلى إيران على فوجين: أولهما حسب الرسالة، كان بعد سقوط «إمارة» طالبان سنة 2001، والتوافد الثاني كان بأوامر من الملا عمر بعد عيد الأضحى سنة 1422 هجرية ونهاية رمضان 1423 الموافق 31 ديسمبر/ كانون الأول 2001.

ويلوّح كاتب الرسالة، ربما رغبة في الضغط والتدخل من القيادة المركزية لـ «القاعدة» على الوسطاء بينها وبين النظام الإيراني، بـ «أن إيران لم تف بوعودها مع المجموعات الموجودة»[1] وأن بعضهم عُذّب حسب المرسل، في مكتب خامنئي و«الحرس الثوري»، القريب منه بالتأكيد، ربما لنزع اعترافات أو توجهات معينة. والبعض الآخر عُذّب في مواقع أخرى تعرف بـ «التجميع». كما غدرت إيران بالمجموعة الأولى منهم التي أتت بعد حرب

(1) يمكن مراجعة رسالة أبو عبد الرحمن السبيعي لبن لادن عن مجموعات القاعدة في إيران على الرابط التالي من وثائق أبوت آباد الدفعة الثانية:
20%http://www.dni.gov/files/documents/ubl/arabic/Letter%20dtd%2013 20-%20Arabic.pdf%Oct%202010

أفغانستان مباشرة، ورحّلوا إلى بـلدانهم. ولكن «السبيعي» لم يـذكر ـ ما ذكره «سيف العدل» في شهادته ـ أن «أبو مصعب الزرقاوي» و«سيف العدل» نفسه ـ واسمه الحقيقي هو محمد صلاح الدين زيدان ـ كانا من هذه المجموعة ولم يرحلا! ربما لأن كاتب الرسالة نفسه كان ليبيًّا ضمن المجموعة الثانية في رسالته.

ولكن حسب الرسالة، فقد تم التعامل مع المجموعة الثانية بشكل مختلف. كما انتهت المسألة بالإفراج عن هذه المجموعات وتحسين أحوالها، في أوائل مارس/ آذار 2010، ولكن أهم ما في رسالة «الليبي» هو تحديدها أبرز عناصر المجموعات التي دخلت إيران وأسمائها، وهو ما سنعرضه في القسم الثاني.

الدفعة الثالثة

أفـرج عنهـا في الأول من مـارس/ آذار 2016، وضمت 113 وثـيقـة ورسالة حملت الحجج الدامغة على حصانة إيران في فكر قائد ومؤسس تنظيم «القاعدة» الراحل، وكيف كان يتجنّب دائمًا استهدافها من قبل التنظيم، بل لا يتحمس لحرب عليها من الولايات المتحدة كان يتردد الحديث عنها في العقد الماضي. ويرى بن لادن أن ذلك مضر بالتنظيم، ويقر بأهمية العلاقات معها، كونها دولة محورية في المنطقة، وجزء من إرهاق المشروع الأميركي والغربي وإعاقته.

كانت القضية المركزية في علاقة «القاعدة» بإيران، الحرص على تحاشي استهدافها أو استعدائها في ضوء إيوائها عناصر

التنظيم الفارة من أفغانستان، ولأنها مثلت الملاذ الآمن لعدد كبير منهم، بمن فيهم أسرة بن لادن نفسه وأسرة شقيقه.

وبضم وثائق أبوت آباد لشهادات وروايات قادة القاعدة الآخرين، يتكشف أنه ربما كان الضغط على زعيم «القاعدة» ودائرتها المركزية، يجري عبر تقييد تحركات البعض دون الكل. وممن كان يجري تقييده، نظرًا لقرابته بزعيم التنظيم وتأثيره عليه، أسرة أسامة بن لادن نفسه التي بلغ عددها في إيران، 24 فردًا، تضم شقيقه وزوجتين لبن لادن وأبناءه، كورقة ضغط على بن لادن و«القاعدة»، لكن من دون إعاقة كامل الخلايا ووحدة الاتصال التي تتخذ من إيران ملاذًا آمنًا. حيث بقيت لبعض آخر ـ شأن «سيف العدل» و«ياسين السوري» ـ درجة كبيرة من حرية الحركة أتاحت لهم تدبير عمليات وادارتها، كتفجيرات المحيا سنة 2003، وهي الأضخم في المملكة العربية السعودية، أو تفجير المدمرة الأميركية «كول» قرب الساحل اليمني، وتفجيرات السفارتين الأميركيتين في تنزانيا وكينيا، وكذلك خروج بعض منفذي هجمات «11 سبتمبر» من البلاد، وهو ما يتضح في شهادة «سيف العدل»، بالخصوص، كما سنوضح.

2ـ دلالات أبوت آباد

أكدت وثائق أبوت آباد، العلاقة التصالحية والتحالفية بين تنظيم «القاعدة» والنظام الإيراني، وإصرار زعيم التنظيم ومؤسسه أسامة بن لادن على عدم المساس بإيران بشرّ، واستثنائها من دون

العالم من عمليات «القاعدة». فهي ـ كما أسلفنا ـ تمثّل اعترافات واستراتيجيات قائد التنظيم نفسه، أو دائرته الضيقة وتصوراته، حيث ضمت أيضًا عددًا من المؤلفات التي كان يحرص على مطالعتها أو يطلب ذلك.

ونجد في إحدى وثائق أبوت آباد، تمييزًا لصالح النظام الحاكم في إيران، و«لا مذهبية» معلنة، في مسودة لأحد خطابات أسامة بن لادن عن «الحرب العالمية الثالثة» أو «الحرب المحتملة بين أميركا وإيران»، حيث يوجّه بن لادن كلامه للطائفتين معًا؛ السنة والشيعة على السواء، إلا أنه يميّز حكام إيران عن غيرهم، فهم ـ كما يقول ـ «ليسوا كافرين كفرًا مخرجًا من الملة شأن حكام الدول السنّية الأخرى الذين يراهم» قد ارتكبوا كفرًا مخرجًا من الملة! وأنهم لا يمتون للإسلام بصلة، ويجب «البراءة منهم ومعاداتهم». لكنه حين يصف حكام إيران، نجده يقول «قادتهم وزعماؤهم يتمسكون ببعض الهدى الظاهر لأهل الإسلام»، لكن المسؤول التنظيمي والمراجع ـ «محمود» أو «عطية الله الليبي» ـ يحذف كلمة «العداء» مكتفيًا بالبراءة فقط! فلا مساواة بين نظام إيران وسائر الأنظمة في المنطقة في عرف القاعدة التنظيمي.

وفي هذا الخطاب، نجد بن لادن يوجه كلامه لمختلف أهل القبلة، ويلح في تلويح بالقبول والإيمان بالروابط المشتركة، وإن لم يعلنها، على أنه يرفض العصبية القومية العربية، ويدلّل بقبول تنظيمه بـ«إمارة» الملا عمر الأفغاني، مؤكدًا أن الحرب المحتملة

من قبل الولايات المتحدة على إيران مضرة للمسلمين، ساردًا العديد من الأسباب التي يبرر بها رفضه لها، مع إقراره برغبتها في التوسع والسيطرة على المنطقة وليس الاكتفاء فقط بدور شرطيها كما كانت على عهد الشاه[1].

ويمكننا أن نستخلص من هذه الوثيقة ما يلي:

- النظام الإيراني فيه من الإسلام ما هو أكثر من أنظمة السنّة الأخرى.
- يعارض بن لادن أي حرب على إيران من قبل الغرب والولايات المتحدة، والتي ثارت دعاياتها فأراد أن يرد عليها، ويرى أن ذلك مضر بتنظيمه في كل الأحوال.
- إذا استقام حكام إيران فهو يقبل بهم، لأنه لا يؤمن بالعصبية الوطنية أو العرقية. ويدلل بن لادن على ذلك، بقبوله وتنظيمه كون «إمارة المؤمنين» للأفغاني الملا عمر.

وفي وثيقة ثانية، عبارة عن رسالة بخط بن لادن نفسه، كتبها لمن يدعى «الأخ توفيق»[2]، يوجه زعيم «القاعدة» بما يشبه التعليمات والمتابعة، أنه بعد صلاة المغرب يوم الجمعة، «ارتبط معه الأخ

---

(1) وثائق أبوت آباد، الدفعة الثالثة، انظر هذه الوثيقة على الرابط التالي:
http://www.dni.gov/files/documents/ubl2016/arabic/Arabic%20Draft%20Speech%20About%20Iran%20and%20America%20with%20Mahmud's%20Comments.pdf

(2) وثائق أبوت آباد، الدفعة الثالثة، يمكن مراجعة هذه الوثيقة على الرابط التالي:
http://www.dni.gov/files/documents/ubl2016/arabic/Arabic%20My%20Generous%20Brother%20Tawfiq.pdf

في إيران»، و«أخبره بأن الإيرانيين مهتمون لعمل ارتباط مع أحد من طرف العُمدة»، والعُمدة أحد ألقاب بن لادن نفسه. ثم يضيف، «وليس هذا لموضوع المرضى فقط، وإنما يهمهم الوضع في العراق». ثم يفصّل قائلًا، «حيث إنهم يعتقدون أن الإخوة هناك، وبالذات «مجموعة الأزرق»، لهم دخل في الاعتداءات والعتبات المقدسة لدى الشيعة، لذا يرغبون في مقابلة مندوب من طرف العُمدة، لمناقشة هذا الأمر والاستيضاح حوله. وحسب تقدير الأخ الوسيط، إنهم يرغبون في تقديم نوع من الدعم والمساعدة، إذا تم توضيح بعض النقاط، على الأقل، توجيه رسالة من العمدة يؤكد فيها بأن الأماكن المقدسة عند الشيعة ليست مستهدفة»[1]، وتضيف الوثيقة: «أن العُمدة وأصحابه غير راضين وغير موافقين على استهداف مثل هذه الأماكن».

وتضيف الوثيقة أيضًا، «أن الإيرانيين أصبحوا غير راضين عن أي شيء في العراق، عن طريق الموالين لهم أو بطريق مباشر، ويريدون التعاون ولكن بعد الحصول على تطمينات». وتقول رسالة بن لادن المكتوبة بخط يده أيضًا، بأنهم يريدون مناقشة الكثير من الأمور «ولكن بعد لقاء مندوب من طرفكم حتى تتم مناقشة كثير من الأمور بتفصيل وشمولية»[2].

في هذه الرسالة، تبدو العلاقة الموضوعية والبراغماتية التي

(1) رسالة للأخ توفيق، وثائق أبوت آباد، الدفعة الثالثة، المصدر السابق.

(2) المصدر السابق نفسه.

تجمع بين الطرفين، تتسع لأمور كثيرة، بدءًا من أوضاع المرضى إلى الوضع في العراق، وكل منهما يعرف طريق الآخر. ويطلب مندوبًا عنه لمناقشة الأمور بتفصيل وشمولية، فهي علاقة بين من يعرف كل منهما بيت الآخر وما يشغله ويتجنّب إحراجه أو جرحه، ويبدي الاستعداد، كما وضع الوسيط، لتقديم مزيد من العون والمساعدة. ويبدو أن تاريخ هذه الرسالة يعود لما بعد تفجيرات «الزرقاوي» مزارات الشيعة سنة 2005، فهو متأخر عن فترة لجوء العناصر إلى أفغانستان، وينقض بدرجة ما الحديث عن تقييدهم أو التضييق عليهم، والشكاية منه كما توضح رسائل أخرى كالرسالة التالية، رسالة أسامة بن لادن لشقيقه الأكبر «أبو نواف»، التي يبدو أنها كانت مباشرة بعد مرحلة الهروب من أفغانستان، وفيها يبث الشكوى بعد تبليغ التحيات والسلامات: «نحن بخير والحمد لله، وإن كان بعض أهلي في إيران تحت الإقامة الجبرية، منهم أم حمزة وبنتاي فاطمة وأسماء (إيمان)، وكذا سعد وعثمان ومحمد وحمزة وحامد والبعض الآخر في باكستان».

ثم يروي له خوفه من كيد اليهود والنصارى والمشركين وخاصة الرافضة، ويصفهم بأنهم أخطر من صدام البعثي. ثم يضيف «إن كل ما قلته عن خطر صدام وحزبه، هو شيء لا يذكر إذا ما قورن بخطر الرافضة اليوم»[1] ويبدو هنا أنه يتكلم عن صدام حسين قبل سقوط

(1) انظر رسالة أبو نواف في وثائق أبوت آباد، الدفعة الثالثة، على الرابط التالي:
http://www.dni.gov/files/documents/ubl2016/arabic/Arabic%20Letter%20to%20Abu%20Nawaf.pdf

نظامه، أي قبل عام 2003. وهذا ما نرجّح كونه عام 2001 بعد سقوط «إمارة» طالبان، وهروب الأسر. وهو يأتي في باب التطمين والقلق ليس أكثر، والخوف ممن يختلف معهم في العقيدة، وهو غضب طبيعي، إذ تخلّت إيران عن طالبان و«القاعدة» أثناء الحرب الأميركية عليها، وضح الظواهري بعضًا منه في مواضع أخرى سبقت الإشارة إليها، فمثل رسالته الوجدانية الأبوية لشقيقه الأكبر لا تمثل الاستراتيجيات ولا الأفكار السياسية في مبادئ هذه العلاقة وأصولها، وربما لا يصح أن يخبر بها شقيقه عنها.

الموقف الاستراتيجي والمبدئي في هذه العلاقة لا تحدده هذه الرسالة الأسرية الباكرة، ولكن الرسائل التنظيمية والتوجيهية الأخرى، منها ما ذكرناه، ومنها سنذكره ونظن أهمها رسالته إلى أحد العناصر الذي يُدعى «كارم».

3 ـ أبوت آباد ورفض بن لادن تهديد إيران

بينما كان يهدد العالم ويكفّر حكام المنطقة أجمعين، لا يقبل بن لادن مجرد التهديد للنظام الإيراني، وهو ما أتى في رسالة «كارم»، والتي ضمتها الدفعة الثالثة من وثائق أبوت آباد التي رفعت السرية عنها في الأول من مارس/ آذار 2016[1].

وتؤكد هذه الرسالة وتوثّق تصوّر بن لادن للعلاقة بالنظام

(1) رسالة بن لادن لكارم تمكن مراجعتها على الرابط التالي:
http://www.dni.gov/files/documents/ubl2016/arabic/Arabic%20Letter%20to%20Karim.pdf

الإيراني وتحالفه معه، كونه الملاذ والمأمن والمسار الذي يمر منه كل شيء للتنظيم، ويرفض تهديد من يمثله المرسل إليه ـ «كارم» ـ للنظام الإيراني. حيث يقول بن لادن له بشكل واضح واستنكاري «بالنسبة لمسألة تهديدكم إيران، فلي عليها بعض الملاحظات أرجو أن يتسع صدرك وصدر إخوانك لها». وجاءت الملاحظات بمبادئ كاشفة لتوجهات «القاعدة» تجاه إيران ورغبتها الأكيدة في مهادنتها؛ حرصًا على المصالح المشتركة، وهي أربع ملاحظات ومبادئ رئيسية حددها في ما يلي:

الأولى: تهديد إيران أمر خطير كان يستوجب المشاورة.

مع علمهم بأهميتها للتنظيم، يقول بن لادن «إنكم لم تشاورونا في هذا الأمر الخطير، والذي يمسّ مصالح الجميع، وقد كنا نتوقع منكم المشورة في هذه المسائل الكبيرة»، ثم يردف بن لادن: «فأنت تعلم أن إيران هي الممر الرئيسي لنا بالنسبة إلى الأموال والأفراد والمراسلات، وكذلك مسألة الأسرى»[1].

الثانية: تهديد إيران غير مبرر وخسارة سياسية للتنظيم.

يؤكد بن لادن مخالفته لمجرد التهديد لإيران، فضلًا عن أنه يثبط عناصر التنظيم عنه لأنهم أعجز عن تحقيقه، وهو ما سيمثل خسارة سياسية لهم، فضلًا عن عدم أهلية من اعتمد عليهم في التهديد واحتمال اختراقهم.

(1) رسالة كارم، المصدر نفسه ص 1.

الثالثة: عدم جدوى فتح جبهة جديدة مع إيران.

يقول بن لادن «لا داعي لفتح جبهة مع إيران، إلا إذا كنتم مضطرين لفتحها، لتعاظم أذاها، وإلا إذا كنتم أيضًا قادرين على إلحاق الأذى بها. فالرأي عندي تأجيل فتح الجبهة معها، والانصراف كليًا لتثبيت دعائم الدولة، والقتال ضد الصليبيين والمرتدين». والمرتدّون هنا في القاموس «القاعدي»، الأنظمة العربية والإسلامية الأخرى غير إيران، والصليبيون هم الغرب المسيحي، فالاستثناء إيراني فقط.

الرابعة: مهاجمة الشيعة ستكون محل تشاور تنظيمي.

بينما يؤكد بن لادن على استثناء إيران من العمليات، فإنه يجعل مسألة استهداف الشيعة ـ المذهبية هنا ـ محل تشاور تنظيمي، وإن لم يحبّذ ذلك، إلا أن مهاجمة عناصر «القاعدة» لهم في أكثر من مكان، ألجأته للالتزام والمشاورة التنظيمية، لكن درجة الأهمية له تختلف. فإيران غير الشيعة عند بن لادن. والأخيرون أقل درجة من النظام الذي يحتكر الحديث باسمهم، ولعل انعدام حماسه لذلك ورفضه إياه يرجع فقط لقلة رغبته في استفزاز إيران وحرصه على العلاقة معها، وهو ما لم يقله عن عموم السنّة الذين راحوا ضحية في أغلب عمليات تنظيمه في البلاد المسلمة.

وفي الرسالة ذاتها، في الفقرة الأخيرة منها، نجد بن لادن يوصي بتحاشي استهداف تركيا، لكنها وصية ليست كتوصيته بإيران، إلا إذا كان من الممكن القيام بعملية كبيرة فيها، تستهدف المصالح الأميركية والغربية، فهو لا يمانع في هذه الحالة، وعلى التنظيم أن يوازن فقط بين المصالح والمفاسد منها، حسب تصوراته طبعًا.

وهكذا التقى الظواهري مع سلفه بن لادن على عدم استهداف إيران، وظلت إيران تؤمن باستيعابهم والتعاون والتواصل مع قادتهم، وتم تداول أخبار كثيرة عن معسكرات تدريب بالقرب من طهران، وتأكد كونها الملاذ الآمن، وتأكد كذلك الاستثناء الإيراني من عمليات «القاعدة» دون كل العالم العربي والإسلامي.

ثانيًا: العلاقة في وثائق أحداث 11 سبتمبر

1 ـ وثائق القضاء الأميركي الجديدة

هي الوثائق التي استندت إليها محكمة أميركية فيدرالية في نيويورك، عند إصدارها في مارس/ آذار 2016 قرارًا بتغريم إيران 10.5 مليار دولار لعلاقتها بهجمات 11 سبتمبر/ أيلول 2001، عن تورّط «حزب الله» اللبناني في تقديم مساعدات وتوجيهات لعدد من منفذي تلك الاعتداءات، وانفردت بنشرها جريدة «**الشرق الأوسط**» خلال الشهر نفسه.

أوضحت الوثائق التي استند إليها القاضي جورج دانيالز للبت في القضية التي رفعت عام 2011، أن بعض من نفذوا الهجمات زاروا إيران خلال الفترة القصيرة التي سبقت الاعتداءات، وأن جوازات سفرهم لم تحمل ختم العبور إلى الأراضي الإيرانية.

وكان قاضي المحكمة دانيالز، قد أصدر الحكم غيابيًا، نظرًا لعدم اعتراض الحكومة الإيرانية على القضية. وأمر القاضي إيران بدفع مليارات الدولارات، لتعويض ضحايا الهجمات الإرهابية وشركات التأمين التي تعرّضت لأضرار مالية إثرها، محمّلًا

طهران مسؤولية مساعدة الإرهابيين الذين خطفوا الطائرات التي استعملت في الاعتداءات. وبدورها، شنت إيران هجومًا عنيفًا ضد الحكم. وقد يكون مرور هذه العناصر قد تم عبر تفاهمات بين نظام طالبان الذي كان يسيطر على كابل وبين النظام الإيراني حينها[1].

وحسب وثائق القضية المرفوعة ضد إيران، فإنها تتهم ستة من كبار المسؤولين فيها ومن مؤسساتها العليا بالمقاضاة والتغريم وهم على الترتيب:

1 ـ المرشد الإيراني آية الله علي خامنئي.

2 ـ وزير الاستخبارات والأمن علي فلاحيان.

3 ـ نائب قائد الحرس الثوري الإيراني، والعميد محمد باقر ذو القدر.

أما الجهات والمؤسسات الإيرانية المتهمة فهي على الترتيب:

1 ـ وزارة الاستخبارات الإيرانية.

2 ـ الحرس الثوري الإيراني.

3 ـ «فيلق القدس» التابع للحرس الثوري، والذي يقوده قاسم سليماني[2].

وقد رفض الإعلام الإيراني ممثلًا بجريدة «**كيهان**» اليومية،

(1) انظر جريدة **الشرق الأوسط** في 15 مارس/ آذار سنة 2016.

(2) انظر جريدة **الشرق الأوسط** في 17 مارس/ ذار سنة 2016.

المقربة من المرشد علي خامنئي، الاتهامات والحكم، معتبرة الحكم «مؤشرًا آخر على أن إدارة (الرئيس باراك) أوباما غير صادقة في ادعائها برغبتها في تحسين العلاقات مع الجمهورية الإسلامية بعد توقيع الاتفاق النووي».

ولقد رجحت وثائق محكمة نيويورك، منذ صدور تقرير 11 سبتمبر/ أيلول أن كلًا من إيران و«حزب الله» قد لعب «دورًا فاعلًا في عمليات القاعدة الإرهابية. فمنذ عام 1998 والتفجيرات المزدوجة للسفارتين الأميركيتين في نيروبي ودار السلام وصولًا إلى هجوم 11 سبتمبر/ أيلول، كانت فيها بصمات المحور الإيراني على عمل تنظيم القاعدة واضحة».

فقد بيّنت الوثائق الجديدة، أن عماد مغنية (كبير قادة حزب الله العسكريين الذي اغتيل في العاصمة السورية دمشق عام 2008)، زار منفذي هجمات سبتمبر/ أيلول في أكتوبر/ تشرين الأول عام 2000، مع استحضار كونه الخبير المعروف بتفجير السفارات والطائرات، ولقد نسّق سفرهم إلى إيران بجوازات سفر جديدة لتأمينهم قبل تنفيذ العمليات. كذلك أثبتت أن الحكومة الإيرانية أصدرت أوامر إلى مراقبي حدودها بعدم وضع أختام مُبيِّنة على جوازات سفر المنفذين، لتسهيل عمليات تنقلهم. واستمرت إيران في تقديم دعم مادي إلى «القاعدة» (حسب الوثائق) بعد وقوع أحداث سبتمبر/ أيلول، ووفرت ملاذًا آمنًا لقيادات التنظيم. وفيما تداولت وسائل إعلام أميركية وغربية، أن قاضي محكمة نيويورك غرّم الحكومة الإيرانية 10.5

مليار دولار، إلا أن اللجنة التنفيذية للمدعين ضد حكومة طهران، أكدت لـ «**الشرق الأوسط**»، أن التعويضات المفروضة على إيران ستتجاوز 21 مليار دولار أميركي، مشيرًا إلى أن المبالغ الإيرانية المحتجزة من قبل الإدارة الأميركية، لن تكفي لتسديد التعويضات المطلوبة.

كذلك ذكرت وثائق محكمة نيويورك الأخيرة في حيثياتها، أن «اجتماعًا تنسيقيًا عُقد بين قادة «القاعدة» وقادة الحرس الثوري الإيراني في العاصمة السودانية الخرطوم عام 1993، ضم: أسامة بن لادن زعيم «القاعدة» السابق، وأيمن الظواهري، الزعيم الحالي لـ «القاعدة»، مع عماد مغنية ومسؤولين إيرانيين، لإقامة تحالف للتعاون المشترك ودعم الإرهاب»[1]. ويبدو أنه ترتّب على ذلك تدريب عناصر للتنظيم في طهران، ولم ترد إيران يومًا على الشبهات الواردة حول وجود معسكر تدريبي لـ«القاعدة» في محافظة خراسان بالقرب من الحدود الأفغانية، فيه 1500 مقاتل، يشرف على تدريبهم مسؤولون كبار في «القاعدة» و«الحرس الثوري»، أو وجود معسكر في محافظة كرمنشاه الإيرانية أو غيرها يشرف عليه عناصر من «أنصار الإسلام» والقراركة (فيلق بدر سابقًا). كما لم تقم بالاستجابة للضغوط الأميركية المستمرة بتسليم إيران قوائم لعناصر «القاعدة» على أراضيها، وهو ما ظلت إيران ترفض إعلان أسمائهم، أو حتى الإجابة عن الاستفسارات الأميركية والغربية بصدده.

(1) وثائق محكمة نيويورك، جريدة **الشرق الأوسط** في 17 مارس/ آذار سنة 2016.

لكن البعض يعود بعمليات التدريب لعناصر «القاعدة» إلى عام 1992، وهو ما يؤكده احتفاظ إيران بمعسكرات لتدريب عناصر من «حزب الله» ومن «الجهاد الإسلامي» الفلسطيني و«حماس» ومن الميليشيات الشيعية العراقية، في مناطق خاصة بها ومعزولة بدرجة ما، وهو ما يرجح شهادة السوداني جمال الفضل.

وتؤكد الحيثيات الأولية لمحكمة نيويورك ـ التي انفردت بوثائقها «**الشرق الأوسط**» ـ في أحداث 11 سبتمبر/ أيلول «أن إيران تورطت في أعمال الإرهاب ودعمتها بصفتها أداة للسياسة الخارجية، منذ بداية وجودها بعد قيام الثورة الإيرانية في عام 1979 وحتى الآن». وهو ما تؤكدة تقارير الخارجية الأميركية حول الإرهاب في العالم باستمرار كل عام بلا استثناء، قولًا واحدًا، أنها الدولة الأكثر دعمًا للإرهاب في العالم، وكان آخرها في مايو/ أيار الماضي 2015.

2 ـ تقرير لجنة أحداث سبتمبر الصادر في يوليو سنة 2004

كان تقرير لجنة التحقيق في أحداث 11 سبتمبر/ أيلول، الوثيقة الأولى التي لوّحت بدور إيراني في دعم منفذي هجمات 11 سبتمبر/ أيلول من عناصر «القاعدة». وهو يضم شهادات ومعلومات مختلفة من مختلف عناصر القاعدة، ممن اعتقلوا في أفغانستان وغيرها، ويكشف تقرير اللجنة المذكورة عن التسهيلات التي قدمها النظام الإيراني لعدد من مهاجمي نيويورك، إلا أنه لم يتأكد الاتهام حينها. لكن انفجر السؤال عن هذه العلاقة بين النظام الإيراني والتنظيم

الإرهابي، واستمرارية هذه العلاقة بعد 11 سبتمبر/ أيلول في إيواء هذا النظام للعناصر الهاربة من أفغانستان وعدم تسليمها للقضاء والتحقيق في الولايات المتحدة، رغم كون أغلبهم مطلوبين على ذمة قضايا فيها وفي مختلف بلدان العالم الأخرى. واستمر هذا السؤال في الصعود ولا يزال في مستويات سياسية وقضائية وأكاديمية مختلفة منذ هذا التاريخ.

لجنة التحقيق في أحداث 11 سبتمبر/ أيلول، طلبت فعلًا، من الاستخبارات الأميركية تقصي معلومات حول علاقة إيران بتلك الهجمات، حيث إنه يومها كانت تلك الصورة غير واضحة بعد. لكن وزارة الخزانة الأميركية كانت الوكالة الوحيدة التي واصلت تسليط الضوء على هذا الموضوع، ووضعت دوريًا على لائحة، عناصر من «القاعدة» كانت تتخذ من إيران مقرًا لها، شأن «سيف العدل» المطلوب أميركيًا، على ذمة هذه التفجيرات.

3 ـ أهم دلالات وثائق سبتمبر ونتائجها

يضم تقرير «لجنة 11 سبتمبر» أقدم إشارة للعلاقة بين «القاعدة» وإيران، والتي أتت في شهادة عضو «القاعدة» السابق السوداني جمال الفضل في بداية عام 2001، والذي رجع بالعلاقة إلى منتصف عام 1990 من القرن الماضي، حين كان قادة التنظيم وعناصره يقيمون في السودان[1].

(1) The 9/11 Commission Report (New York: W.W. Norton & Co., 2004).

ذكر الفضل في شهادته، أن أربعة من قادة القاعدة هم «أبو طلحة السوداني»، و«أبو جعفر المصري»، و«سيف المصري»، و«سيف العدل»، التقوا قادة ميدانيين في «حزب الله»، بعد سفرهم إلى لبنان في منتصف سنة 1990. وليس من المستبعد عند كثير من المراقبين، أن يكون قادة «حزب الله» قد قدموا دعمًا فنيًا وتدريبيًا لقاعدة التنظيم الوليد حينئذ زعيم «الجهادية المعولمة»، والتي ولد منها «داعش» في ما بعد.

أثبت تقرير «اللجنة» أيضًا، أن ثلاثة من منفذّي هجمات 11 سبتمبر/ أيلول، سافروا من السعودية إلى بيروت ومنها إلى إيران، «في ارتباط مع قائد لحزب الله» زار السعودية من أجل ذلك في أكتوبر/ تشرين الأول سنة 2000[1]. وهو ما كشفت وثائق محكمة نيويورك كونه قائد «حزب الله» الميداني الأهم الراحل عماد مغنية، كما أسلفنا. فحسب تقرير اللجنة، زار ثلاثة من منفذي الهجمات بيروت ومنها إلى إيران، في ارتباط مع مغنية الذي زارهم في أكتوبر/ تشرين الأول سنة 2000[2] والذي اغتيل في سوريا في فبراير/ شباط سنة 2008.

(1) The 9/11 Commission Report (New York: W.W. Norton & Co., 2004). AndBruce Riedel, The Mysterious Relationship Between Al-Qa`ida and Iran, 3 July 2010 https://www.ctc.usma.edu/posts/the-mysterious-relationship-between-al-qaida-and-iran

(2) The 9/11 Commission Report (New York: W.W. Norton & Co., 2004). And Bruce Riedel, The Mysterious Relationship Between Al-Qa`ida and Iran, 3 July 2010 https://www.ctc.usma.edu/posts/the-mysterious-relationship-between-al-qaida-and-iran

ولأهمية شهادة الفضل وخطورتها، أفرد أيمن الظواهري، له ولها، حديثًا خاصًا، متهمًا إياه بالكذب والسرقة، حيث كان يعمل محاسبًا ماليًا لأسامة بن لادن، واتهمه الأخير ـ حسب رواية الظواهري ـ بسرقة آلاف الدولارات، وأنه لجأ للاستخبارات الأميركية حين طالبه بها ولم يستطع ردها[1].

ولقد نفى أيمن الظواهري هذه العلاقة في حوار معه بعد ذلك بعام، أجرته نشرة «الأنصار» في عددها الحادي والتسعين، (عام 1415 هـ ـ 1994 ميلادية)، إذ قال «موقفنا الواضح من إيران، هو الموقف الذي ينبني على الحقائق العقائدية والعلمية»، نافيًا أي موقف تحالفي مع الحكومة الإيرانية. ويورد في سبيل ذلك عددًا من الأمثلة التي تباعد بينهما، مثل مساندتها لحكومة حافظ الأسد أثناء حربه على الإخوان المسلمين أوائل الثمانينيات، ومساندتها للأحزاب الشيعية فقط أثناء فترة الجهاد الأفغاني، وعدم إدانة ترحيل باكستان المجاهدين العرب من أراضيها، وعدم تقديمها أي مساعدة للحركات الجهادية في مصر أو الجزائر، وأنها، أي الحكومة الإيرانية، لا تدعم إلا أبواقها وتابعيها.

ويتكئ الظواهري في حواره هذا، على مبدأ تبادل المصلحة وليس الموقف العقدي والمذهبي، الذي يتم استدعاؤه فقط في مضمار التجنيد والتعبئة من قبله، وليس في مضمار الحرب

(1) أيمن الظواهري وترجمة جمال الفضل، على موقع المسلم ـ نت على الرابط التالي:
http://www.muslm.org/vb/showthread.php

والاستراتيجية، حيث يمكن وأمكن التقاء المصالح، والمصالح المتبادلة غالبًا، لا تعلن إلا في رسائل خاصة كرسالته لـ «أبو مصعب الزرقاوي» المرسلة في أكتوبر/ تشرين الأول 2005، التي كشف «أبو محمد العدناني»، المتحدث باسم «داعش»، أنها كانت طلبًا متكررًا منه في مايو/ أيار 2014.

وتثبت وثائق سبتمبر مجتمعة، دور إيران في التجهيز والإعداد والدعم اللوجستي لمنفذي الهجمات الأكبر في تاريخ الولايات المتحدة والإرهاب العالمي. وحقًا أكد خالد شيخ محمد ورمزي بن الشيبة، وهما القياديان العمليان في «القاعدة» ومهندسا الاتصال داخل المجموعة المنفذة «في تقرير لجنة التحقيق أنه» ما بين 8 إلى 10 من مهاجمي «القاعدة» في سبتمبر/ أيلول، أقاموا وعبروا إيران في الفترة بين أكتوبر/ تشرين الأول 2000 وفبراير/ شباط 2001، ولكن لم تختم جوازاتهم عند العبور كونهم سعوديين كما ذكروا في التحقيق[1]. غير أن هذا لا يصح حسب المتعارف عليه في إجراءات السفر والتأشيرة إلى إيران، حتى ولو كانت الزيارة بغرض السياحة الدينية[2] كما أن بن الشيبة يمني وليس سعوديًا.

من جانب آخر، كشفت وثائق محكمة نيويورك عكس ذلك، وهو أن الحكومة الإيرانية أصدرت أوامر إلى مراقبي حدودها

(1) Ibid

(2) انظر على سبيل المثال هذا الموقع الإيراني:
http://www.irhal.com/ar/%D8%A5%D9%8A%D8%B1%D8%A7%D9%86/

بعدم الختم بأختام مبيّنة على جوازات سفر للمنفذين، وهو ما يرجّح علم النظام الإيراني بما هم متوجهون إليه، عبر عماد مغنية الذي سبق أن زارهم واجتمع بهم في مواطنهم، ثم نسّق سفرهم إلى إيران بجوازات سفر جديدة، لتأمينهم قبل تنفيذ العمليات. وقد واصلت إيران تقديمها الدعم المادي والمعنوي لـ «القاعدة» وتوفير الملاذات الآمنة لقياداته بعد ذلك، حسب وثائق المحكمة الأميركية، والتي ذكر كثير منها تقرير «لجنة 11 سبتمبر» أيضًا، وليس كلها.

وبينما لم ينف كلاهما ـ خالد شيخ محمد أو رمزي الشيبة ـ بشكل قاطع في تقرير أحداث 11 سبتمبر/ أيلول، وأثناء التحقيقات معهما، وجود علاقات بين «القاعدة» وإيران، وهو ما برّر قول معدّي التقرير بـ «عدم علم» إيران و«حزب الله» بتوجّه «القاعدة» لمهاجمة برجي مركز التجارة العالمية بنيويورك في 11 سبتمبر/ أيلول، فإن وثائق القضية رجّحته. وهو وإن لم يكن مستبعدًا فهو لا ينفي التستر والدعم اللوجيستي للعملية، خاصة، أن تنفيذ عملية سبتمبر/ أيلول، احتفظت به القاعدة في دائرة ضيقة جدًّا من قادتها. إذ يقول يوسف العييري، مؤسس تنظيم «القاعدة» في السعودية (الذي قتل في 2 يونيو/ حزيران 2003)، وهو الذي أسّس أول فرع لـ «القاعدة» خارج أفغانستان، إنه لم يعلم بأحداث سبتمبر/ أيلول، إلا أنه فهم أن قيادة التنظيم كانت تخطط لعمل كبير. ثم فوجئ بأحداث «غزوة مانهاتن»، حسب تعبيرات

التنظيم، أو تفجيرات سبتمبر/ أيلول شأن الآخرين[1]. وقد اتهم عدد من أصحاب المراجعات، أسامة بن لادن وقادة «القاعدة»، بأنهم لم يخبروا قيادة طالبان بالعملية وباغتوهم بها، ما تسبب في سقوطها، شأن مراجعات فضل التي صدرت سنة 2009.

وإن كان الأمر كذلك، فلمَ الاستغراب من عدم علم الداعمين الإيرانيين بالتوجه الفعلي لعناصر القاعدة، أو علم غيرهم بأنها ستكون عملية كبيرة ضد المصالح الأميركية، دون أن يعرفوا تفاصيلها.

4 ـ العبور الآمن لإيران و «خط الجرذان» النشط

حسب وثائق قضية نيويورك التي صدر فيها حكم غيابي بإدانة قادة ومؤسسات النظام الإيراني وتغريمهم، أكد مسؤولون حكوميون أميركيون وأوروبيون وإيرانيون، وخبراء ومنشقون من تنظيم «القاعدة» و«الحرس الثوري الإيراني»، في شهاداتهم أمام المحكمة، أنه في أعقاب هجمات 11 سبتمبر/ أيلول استخدمت قوات الأمن الإيرانية طريقًا عرف باسم «خط الجرذان» كانوا قد أسسوه في وقت سابق لمساعدة عملاء «القاعدة» على الوصول إلى أوروبا لإخلاء مقاتلي التنظيم وعائلاتهم من أفغانستان قبل الهجمات التي شنها التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة على نظام طالبان.

(1) يوسف العييري، **حقيقة الحرب الصليبية الجديدة**، منشور على موقع القاعدون، موقع تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، ط2 سنة 1422، تساؤلات حول الحرب الصليبية الجديدة، منشور على موقع القاعدون، موقع تنظيم القاعدة في جزيرة العرب.

وكان من بين أهم قادة «القاعدة» الذين مروا عبر «خط الجرذان»، أسامة بن لادن و«سيف العدل» و«أبو مصعب الزرقاوي». وشبيه به ما حدث مع رمزي بن الشيبة ـ على ما ذكر المرشح الجمهوري لمجلس الشيوخ السابق كينيث تيمرمان، في شهادته ـ من أن رمزي بن الشيبة (منسّق هجمات 11 سبتمبر/ أيلول)، التقى محمد عطا مختطف الطائرة، في العديد من المدن الأوروبية في بداية 2001. ثم سافر إلى أفغانستان لتقديم تقرير متابعة من فريق العمليات إلى أسامة بن لادن ونائبه أيمن الظواهري. وفي الطريق، توقف بن الشيبة في إيران.

وجدير بالذكر أن تقرير «لجنة 11 سبتمبر» لم يشر إلى زيارات بن الشيبة إلى إيران، رغم أنه أشار إلى تقارير استخباراتية تفيد بأنشطة بن الشيبة في ألمانيا قدمتها الاستخبارات الألمانية إلى اللجنة. وفي سبتمبر/ أيلول 2004 قدّم المدعي العام، والتر همبرغر، أحد التقارير الاستخباراتية التي تشير إلى أن بن الشيبة سافر إلى إيران بجواز سفره بعدما حصل على تأشيرة من السفارة الإيرانية في برلين. كذلك قدم المدعون الفيدراليون الألمان، جرى أيضًا إلينا نسخة موثقة من مذكرة صادرة عن الاستخبارات الألمانية، جرى إرسالها إلى مكتب التحقيقات الفيدرالي الأميركي (الإف بي آي) في نوفمبر/ تشرين الثاني 2001 توثّق سفر بن الشيبة إلى إيران في يناير/ كانون الأول وفبراير.شباط 2001. ومن بين أبرز الشهود على ضلوع طهران في هجمات 11 سبتمبر/ أيلول، إدغار بن آدم، الرئيس السابق للمكتب الوطني الأميركي للإنتربول

وباتريك كلاوسون، مدير الأبحاث في معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، وكلير لوبيز الضابط بوكالة الاستخبارات المركزية، ودانيال بايمان، المسؤول السابق في «لجنة 11 سبتمبر» والمرشح الجمهوري لمجلس الشيوخ السابق كينيث تيمرمان وماثيو ليفيت مسؤول الاستخبارات السابق بالخزانة الأميركية، وأبو الحسن بني صدر الرئيس السابق لإيران، بالإضافة إلى ضابط سابق في الحرس الثوري الإيراني وغيرهم. وحسب ماثيو ليفيت، والذي شغل منصب نائب مساعد وزيرة الخارجية لشؤون الاستخبارات والتحليل في وزارة الخزانة الأميركية بين 2005 و2007، لـ «**الشرق الأوسط**»، فإن «الأدلة التي تم استخدامها في المحاكمة لدعم الحكم الذي دان إيران و«حزب الله» اللبناني، شملت شهادة الخبراء الأميركيين وكنت من بينهم»[1].

وحسب كينيث تيمرمان بلغ عدد من استقبلتهم وآوتهم إيران من عناصر «القاعدة»، ثمانمائة عنصر على الأقل بعائلاتهم، وكان يشرف على إخلائهم محسن رضائي، رئيس استخبارات الحرس الثوري حينئذ (مرشح رئاسي لاحقًا). ولكن لم تعترف إيران بهذه الاستضافة والإيواء مع التنظيم الذي نفّذ أكبر عملية إرهابية في التاريخ الحديث، إلا بعد ثمانية عشر شهرًا من الصمت، وذلك بعدما أخبر وزير الخارجية الإيراني كمال خرازي، الصحافيين في 16 فبراير/ شباط 2003، بأن السلطات «اعتقلت» أو «رحّلت» أكثر

(1) انظر جريدة **الشرق الأوسط** في 19 مارس/ آذار سنة 2016.

من عضو في «القاعدة»، وظلت تتحفظ على معظمهم وتنفي وجوده من الأساس حين طلبه من البلاد المطلوب فيها. ولم يستبعد شهود قضية نيويورك استمرار إيران في دعم التنظيم وتسهيل حركة نشطائه وعناصره لأوروبا والغرب.

ثالثًا: من صناعة «الزرقاوي» إلى اتهامات أسلافه

منذ مهّد القيادي الإسلامي السوداني الراحل الدكتور حسن الترابي (توفى في 5 مارس/ آذار 2016)، للعلاقة بين تنظيم «القاعدة» والنظام الإيراني، وأقام جسورها بينهما، منذ تحالفه مع بن لادن في أعقاب هروب الأخير من المملكة العربية السعودية، ومن ثم إقامته في السودان، استضاف السودان أيضًا عددًا كبيرًا من قادة وعناصر تنظيم «الجهاد» المصري.

كان الترابي يهدف من وراء هذا التحالف، ومن تجسير هذه العلاقة بين المتشددين إلى قيادة «الحركة الإسلامية السياسية العالمية»؛ وذلك عبر تنحية التوترات التاريخية بين المسلمين السنة والشيعة جانبًا، بناء على ما أقامه ـ أثناء شراكته في الحكم حينئذ ـ من علاقة وطيدة مع النظام الإيراني وأجهزته الاستخباراتية والعسكرية. وعمل، بالتالي، على تشكيل جبهة متشددة سنية ـ شيعية موحّدة ضد الولايات المتحدة والغرب، واستهداف مصالحهما وحلفائهما في المنطقة.

في هذه المرحلة لم تكن العداوة طائفية، كما حملتها الأحداث ما بعد «حرب العراق» سنة 2003، بل ما كانت موجودة أصلًا.

وكان التقدير لثورة الخميني حاضرًا في كتابات الظواهري الأولى، مثل «**فرسان تحت راية النبي**» الذي يجعل استضافة الشاه «أحد عوامل الصحوة الجهادية في مصر آواخر السبعينيات». ولا شك أنه كان تقدير متبادل بين تبجيل ثورة الخميني لقاتل السادات (خالد الإسلامبولي) وبين «القاعدة» الذي يعتبر عملية اغتياله «عملية الجهاد الكبرى وأبرز علاماته» والقاتل أول فرسانه، أو كما يقول الظواهري، «بقتل أنور السادات انفجرت قضية الجهاد في مصر والعالم العربي، بل وأصبحت ممارسة ميدانية يومية. وأضحت مواجهة النظام ـ المحارب للشريعة والمتحالف مع أميركا وإسرائيل ـ معركة متصلة الفصول لم تتوقف حتى اليوم»[1].

وعلى الرغم من التطورات، والتحول مما يمكن تسميته «الجهاد القُطري» لـ «عولمة الجهاد»، عبر دمج تنظيم «الجهاد» في «القاعدة» وشبكته، إلا أنه يلاحظ تجاهل خطاب «القاعدة» كليًا اعتبار النظام الإيراني عدوًا شأن سائر الأنظمة في المنطقة، أو محلًا للاستهداف أو الاستنزاف، شأن الأنظمة العربية والإسلامية الأخرى في مختلف أدبياتها. بل، وظل هذا النظام الإيراني الإسلامي، الأقرب من سواه، رغم بعض التحفظات المصلحية والأيديولوجية غير المذهبية القادمة من «القاعدة» تجاه مواقفه من الغزو الأميركي للعراق وأفغانستان، والذي لم يكن منتظرًا من دولة ترفع شعار «تصدير الثورة الإسلامية» للعالم، أو دعمها

(1) أيمن الظواهري، **فرسان تحت راية النبي**، ط1 منبر التوحيد والجهاد، بدون تاريخ، ص 30.

لـ «تحالف الشمال» في الحرب ضد طالبان، أو دعمها الفصائل الشيعية دون السنية أثناء مرحلة الجهاد الأفغاني[1]، أو النقد لحزب الله لسكوته عن تحرير شبعا. إننا نجد الظواهري ينتقد في حوار معه تهديدات المرشد الإيراني للولايات المتحدة متى توجهت لتهديد إيران، بينما يصمت على ممارساتها في سائر البلدان[2].

1 ـ صناعة الزرقاوي: بين «سيف العدل» وسليماني

أقام «سيف العدل» المسؤول العسكري في «القاعدة» في إيران حتى أوائل مارس 2010، حين سلمته السلطات الإيرانية إلى «القاعدة» مقابل تسليم الأخيرة دبلوماسيًا إيرانيًا كان رهينة لديها. ولقد نشر شهادة له عام 2006 عن «أبو مصعب الزرقاوي»[3] بناء على طلب موقع متشدد له، بعد مقتل الأخير في يونيو/ حزيران من العام نفسه، عنونها بـ «السيرة الجهادية للقائد الذباح: أبو مصعب الزرقاوي». ونظن أنه لم يكن مقيد الحركة في إيران، بدليل أنه أدار من هاتفه في طهران، حيث يقيم، تفجيرات المحيا في العاصمة السعودية الرياض سنة 2003، وكانت تلك أولى عمليات «القاعدة

(1) أيمن الظواهري، **التبرئة**، ط1 منبر التوحيد والجهاد، يناير/ كانون الأول سنة 2008، ص 183.

(2) أيمن الظواهري، **الأعمال الكاملة**، منبر التوحيد والجهاد، ط1 فبراير/ شباط سنة 2010، ص 378 وما بعدها.

(3) سيف العدل، السيرة الجهادية للقائد الذباح أبي مصعب الزرقاوي، تمكن مراجعتها على هذا الرابط:
jpg.99062601/7657/http://img146.imageshack.us/img146

في جزيرة العرب» وأكبرها. وهو ما أثبتته اعترافات عناصر التنظيم الفرعي وشهادات أعضائه في سيرهم أكثر من مرة.

وعن دور إيران الداعم لعناصر «القاعدة»، يقول «سيف العدل» إن «طريق الإخوة الآمن كان قد أصبح عن طريق إيران، بعد أن بدأت السلطات الباكستانية بالتشديد علينا وعلى حركتنا»، والذي كان حسب تعبيره« بسهولة ويسر».

وهذا ما استمر بعد الحرب الأميركية على أفغانستان، إذ يقول «سيف العدل» في الشهادة نفسها: «بدأنا بالتوافد تباعًا إلى إيران. وكان الإخوة في جزيرة العرب والكويت والإمارات، من الذين كانوا خارج أفغانستان قد سبقونا إلى هناك، وكانت بحوزتهم مبالغ جيدة ووفيرة من المال. وشكلنا حلقة قيادة مركزية وحلقات فرعية، وبدأنا باستئجار الشقق لإسكان الإخوة وبعض عائلاتهم». وهنا نرجو ملاحظة تعبيرات «قيادة مركزية وحلقات فرعية» حيث يدحض ادعاء بعض الباحثين أنهم كانوا تحت السيطرة ومقيدي الحركة من قبل النظام الإيراني ومكتب خامنئي شخصيًا!

ومن أخطر ما تكشفه شهادة «سيف العدل» المذكورة، تأكيدها على دور إيراني رئيس وداعم في نشوء «الظاهرة الزرقاوية» وصعودها، والتي وصلت لـ«الداعشية»، في ما بعد، في معسكر مدينة هرات منتصف التسعينيات. وهرات ـ ذات الغالبية الشيعية ـ هي أقرب مدينه أفغانية إلى الحدود الإيرانية. وكانت استراتيجية «سيف العدل» حينئذ، حسب تعبيره، «إنشاء محطتين في طهران ومشهد

في إيران، من أجل تسهيل عملية عبور الإخوة دخولًا وخروجًا، من أفغانستان وإليها. وكان الهدف من وراء هذا الطرح كله؛ هو التواصل مع منطقة مهمة من مناطق العالم العربي والإسلامي».

لذا نرى أنه لا يصح ما استنتجه دارسو دفعة وثائق أبوت آباد الأولى في مايو/ أيار 2012، في مركز مكافحة الإرهاب بويست بوينت (في ولاية نيويورك الأميركية)، من أن الدعم الذي وصل إلى الفارين من الغزو الأميركي لأفغانستان، اعتمد فقط على بعض منتسبي الحزب الإسلامي بزعامة قلب الدين حكمتيار أو بعض إخوانهم العرب والخليجيين الذين سبقوهم بالمال لطهران، من دون التنبه لحديث وتصريحات «سيف العدل» التنظيمية عن تأسيس محطتين في طهران ومشهد من أجل العبور دخولًا وخروجًا حسب نصه![1]

ويكاد يتطابق الخطاب الأيديولوجي الديني الإيراني، مع خطابات الجماعات السنّية المتشددة. ويكفي أن نبحث عن وظيفة البيعة للمرشد في هذا التنظيم، والتي تحدّث عنها خامنئي مرارًا عشية الانتخابات الأخيرة 2016 أمام قواعد الناخبين، داعيًا إياهم إلى انتخاب من يلتزم فقط بها دون من يتحفظ حتى عليها فضلًا عمن ينتقدها. إذ قال خامنئي ـ حسب وكالة إرنا (الرسمية) للأنباء ـ إن «البيعة مع الثورة الإسلامية في إيران والإمام الخميني،

(1) Nelly Lahoud (With others), Letters from Abbottabad: Bin Laden sidelined?, The Combating Terrorism Centre at West Point(CTC), 3 May 2012, p43.

بيعة مع النبي ﷺ». وأضاف، «علينا أن ننتخب بشكل صحيح، من يقدم قائمة انتخابية تضم مرشحين متدينين ومؤمنين وثوريين، ويسيرون على نهج الإمام الخميني، فعلينا أن نثق بما يقولونه ونصوت لهم» وحديثه المستمر والمصرّ ـ رغم الاتفاق ـ على الموت لأميركا ومعاداتها[1].

إن بقاء «الزرقاوي» في إيران لمدة عامين قبل انتقاله إلى العراق بناء على طلبه ومجموعته من «سيف العدل»، حسب شهادة الأخير، لم تكن مجهولة بالنسبة إلى «الحرس الثوري» والجنرال قاسم سليماني قائد «فيلق القدس» فيه، والذي انتشرت تصريحات له سنة 2004 ألقاها في ندوة مغلقة عقدها مخيم لطلبة الدراسات الاستراتيجية والدفاعية بجامعة الإمام الحسين عام 2004، وتحدث عن توفير إيران تسهيلات لـ «أبو مصعب الزرقاوي» زعيم «تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين»، مبررًا ذلك بـ «أن نشاطات الزرقاوي في العراق، تخدم المصالح العليا للجمهورية الإسلامية، وبينها منع قيام نظام علماني فيدرالي متعاون مع الولايات المتحدة». وأضاف سليماني، «لا يحتاج الزرقاوي وعناصر قيادة تنظيمه إلى رخصة مسبقة لدخول إيران، فهناك نقاط حدود معينة تمتد من حلبجة شمالًا إلى عيلام جنوبًا. يستطيع «الزرقاوي» وما يزيد على عشرين مقاتلًا من مؤيديه دخول الأراضي الإيرانية متى يشاؤون». وردًا على القشعريرة الشيعية من جرائم «الزرقاوي» و«قاعدته»

(1) وكالة إيرنا في 9 يناير/ كانون الثاني سنة 2016.

في العراق حينئذ تجاه الشيعة، واغتيالهم عددًا من رموزهم، مثل السيد محمد باقر الحكيم رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية (المجلس الإسلامي الأعلى لاحقًا)، في 29 أغسطس/ آب 2003، يشكك سليماني في تورّط «الزرقاوي» بقتل الحكيم، ويعتبره أمرًا ليس مؤكدًا. أما الأمر المؤكد، فهو حسب سليماني، «إن ما يقوم به الزرقاوي حاليًا، يخدم مصالح الجمهورية الإسلامية العليا. فقيام عراق علماني فيدرالي متعاون مع الولايات المتحدة، أخطر بكثير من النظام البعثي السابق. ذلك أن النظام الجديد سيشكل ـ حسب سليماني ـ «تهديدًا حقيقيًا للإسلام الثوري المحمدي الخالص وولاية الفقيه»، خاصة بعد صعود مشكل الملف النووي الإيراني بعد حرب العراق سنة 2003، واستمرار الضغوط الدولية عليها.

ومما ذكره سليماني في هذه الندوة ـ حسب المصادر التي لم نتأكد منها ـ أن صعود الإرهاب في العراق غداة سقوط نظام صدام حسين وعشية الانتخابات البرلمانية، التي قاطعها السنّة، كانت تصب في مصلحة النظام الإيراني وحلفائه في العراق(1).

ولعل تصريحات سليماني السابقة تلتقي مع ما أقرّ به محمد العوفي، القائد الميداني لتنظيم «القاعدة في جزيرة العرب»، بعد فراره من اليمن وتسليمه نفسه للسلطات السعودية في 27 مارس/ آذار 2009، وإشراف طهران على تنسيق حوثي ـ قاعدي في

(1) انظر جريدة **إيلاف** الإليكترونية، في 9 فبراير/ شباط سنة 2005 تحقيق بعنوان: «طهران: من حقنا الاتصال بعراقيين»، وانظر أيضًا:
Michael Rubin, Can Iran Be Trusted?, AEI Middle Eastern Outlook in September 1,2006 http://www.meforum.org/1002/can-iran-be-trusted

الساحة اليمنية. وهو ما يعني أن التوظيف استمر من قبل النظام الإيراني التدخلي والتوسعي لمختلف التنظيمات المتشددة (بما فيها السنّية) التي تستهدف أعداءه وأعداءها معًا وتستنزفهما، عبر سياسة العصا والجزرة، عبر الضغط والتقييد والإيواء والتأمين، والسماح بالحركة والاتصال أيضًا، وأنه من آن لآخر، تتم مراوغة تسليم عنصر أو أكثر تخفيفًا للضغوط الدولية على إيران ليس أكثر في هذا الحين، كما حدث في حالة سليمان أبو غيث والمصري مصطفى حمزة وغيرهم.

2 ـ شهادة داعش أن القاعدة أبناء إيران

في رسالة الظواهري لـ «أبو مصعب الزرقاوي» ـ التي شكّك البعض في نسبتها حينها ـ في أكتوبر/ تشرين الأول 2005، أوصا بتجنب استهداف الشيعة وإيران وكف أذاه عنها، كونها تحتضن مائة من عناصر «القاعدة» وذويهم، مؤكدًا أن «الصدام مع الشيعة يرفع العبء عن الأميركيين»، وبالمصالح المتبادلة، حيث تؤوي إيران نحو مائة من عناصر القاعدة على أراضيها. ولقد طرح الظواهري في رسالته حينئذ لـ «الزرقاوي» التساؤل التالي: «هل تناسى الإخوة أن كلًا منا والإيرانيين في حاجة إلى أن يكفّ أذاه عن الآخر في هذا الوقت الذي يستهدفنا فيه الأميركيون؟»... أليس هذا التقاء المصالح والأهداف التي يؤمن بها كل من تنظيم «القاعدة» والنظام الحاكم في إيران؟! ولكن هذا الخطاب الظواهري لم يعد محلًا للشك بعد رفع السرية عن وثائق أبوت آباد.

لكن الأمر زاد يقينًا باتهام صريح بالتحالف وتبادل المصلحة، أطلقه «أبو محمد العدناني» المتحدث باسم «داعش»، كشف فيه علاقة «القاعدة» بإيران، وهو يخلع بيعة الظواهري، قائلًا له وملوحًا بهذه العلاقة بين «القاعدة» وإيران وعدم التزام فرعها في العراق بها. وهو المثال الوحيد ـ الذي ذكره ـ على عدم الامتثال على الرغم من تكرار الطلب أو الأمر من قيادة القاعدة المركزية، قائلًا له: «عذرًا أمير القاعدة.. إننا كنا ولحين قريب، نجيب من يسأل عن علاقة الدولة بالقاعدة بأن علاقتها علاقة الجندي بأميره، ولكن هذه الجندية يا دكتور لجعل كلمة الجهاد العالمي واحدة، ولم تكن نافذة داخل الدولة كما أنها غير ملزمة لها، وإنما هي تنازل وتواضع وتكريم منا لكم. ومن الأمثلة على ذلك عدم استجابتنا لطلبك المتكرر بالكف عن استهداف عوام الروافض في العراق بحكم أنهم مسلمون يعذرون بجهلهم، فلو كنا مبايعين لك لامتثلنا أمرك حتى لو كنا نخالفك الحكم عليهم، هكذا تعلمنا في السمع والطاعة، لو كنت أمير الدولة لألزمتها بك ولعزلت من خالفك بينما التزمنا طلبكم بعدم استهدافهم في إيران وغيرها»[1].

ونظن أن «العدناني»، لو كان اطلع على وثائق أبوت آباد ـ خاصة في دفعتها الثالثة ـ لعلم أن الكفّ عن إيران لم يكن طلب الظواهري وحده، بل كان طلب بن لادن أيضًا، وأنه كان موقفًا استراتيجيًا ومبدئيًا لـ «القاعدة» في المرحلتين.

(1) أبو محمد العدناني، عذرًا أمير القاعدة، بيان منشور في 12 مايو/ أيار سنة 2014.

الفصل الثاني

رجال «القاعدة».. «الملاذ الآمن والدور الخطير»

ما أصاب «إمارة» طالبان وتنظيم «القاعدة» من أزمات عميقة، بعد أحداث 11 سبتمبر/ أيلول 2001، وشن الولايات المتحدة وحلفائها حربًا عليها بعد أقل من شهر منها، أجبر عناصرها وكثيرين من قادتها على الهروب نحو إيران وليس باكستان، بناء على أمر من الملا عمر، حتى يخففوا الضغط على عناصر حركته فيها. ولكن على الرغم من ذلك كما يذكره «أبو أنس الليبي» (أنس السبيعي) في رسالته لبن لادن في أكتوبر/ تشرين الأول 2010 ـ المشار إليها آنفًا ـ فإن التنظيم خرج من هذه الأزمة أكثر قوة واستعدادًا، فتوسّعت فروعه وعملياته في مناطق مختلفة، وعاش بعد أحداث 11 سبتمبر/ أيلول على الرغم من الحرب العالمية على الإرهاب، «صحوة جديدة غير مسبوقة»، لا شك يعود الفضل فيها لما أتاحته إيران لقادته وعناصر اتصاله التي لجأت إليها.

يفسّر الدور الإيراني وحده هذه الصحوة غير المتوقعة. فلقد

مد التنظيم فروعه في عدد من دول المنطقة، وكان أول الفروع - كما أصرّ بن لادن - يجب أن يكون في المملكة العربية السعودية عام 2003. ثم أسس تنظيم «القاعدة في بلاد الرافدين» في أغسطس/ آب 2004. ثم أعلنت جماعة متشددة للدعوة والقتال في المغرب العربي في يناير/ كانون الثاني 2007 بيعته، وتحول اسمها إلى «القاعدة في المغرب العربي». كذلك بايعته في التاريخ نفسه، مجموعة من قيادات «الجماعة الإسلامية المقاتلة» الليبية، وتوسعت عمليات القاعدة في أوروبا وإفريقيا وآسيا وغيرها من البلدان مستهدفة المصالح الأميركية والغربية. وعليه، فإيران لم تكن ملاذًا آمنًا فقط، بل عبرها استطاع التنظيم ضخ الحياة في أوصاله ورفض الموت ومقاومة الشتات لعناصره.

أولًا: وفود القاعدة الخمسة إلى إيران

حسب رسالة «أبو أنس الليبي» إلى بن لادن، قسمت إيران اللاجئين إليها من قادة وعناصر «القاعدة» وسائر الحركيين المتشددين، حسب القدوم والوفود، إلى خمس مجموعات. وكانت تشرف عليهم جميعًا، الأجهزة الاستخباراتية والأمنية ومكتب المرشد الإيراني، كما جرى تصنيفهم في مجموعات مختلفة حسب الأهمية والدور، وتوزيع إقاماتهم في مناطق مختلفة.

وذكر السبيعي (أبو أنس الليبي) عددًا من الأسماء وتجاهل

أسماء أخرى كان لها دور كبير في ما بعد، ونذكر من أشار إليهم في ما يلي حسب نصه:

1 - المجموعة الأولى: كانت تضم من قيادات «القاعدة»، كما ورد، «الشيخ سليمان أبو غيث، والشيخ محمد الإسلامبولي، وأبناؤكم سعد وعثمان ومحمد وأحمد حسن، وأبو محمد المصري، وسيف العدل، وجهاد ابن ابو جهاد، (أي تقريبًا أفراد منطقة شيراز) مع الأخ الإيراني القائم عليهم» انتهى.

2 - المجموعة الثانية: تضم حسب نص الليبي «عناصر الجماعة الإسلامية المقاتلة، وهم الشيخ أبو المنذر، والشيخ صالح، والشيخ موسى، وأبو حازم، وأبومالك، وشاكر الله، وسراج (مصوّر الجزيرة)، وأبو الورد، وعبد الغفار، وحاطب، والعبد لله. وبعدها بأشهر قبض على الشيخ عبد الله سعيد، والزبير المغربي (المقيمين في طهران) مع الأخ الإيراني القائم عليهم» انتهى.

3 - المجموعة الثالثة: وتضم حسب الليبي «الشيخ أبو حفص الموريتاني، وقبض عليه أولًا، ثم أبو السمح، وأبو صالح، وأبو دجانة، وأبو المقداد عبد العزيز المصريين، وأبو عبد الله الجزائري، وأبو صهيب العراقي، وابنه صهيب، وأبو الحارث العراقي، وهارون الكردي وغيرهم، (أي الإخوة الذين كانوا يقيمون في منطقة كرج) مع الأخ الإيراني القائم عليهم» انتهى.

4 - المجموعة الرابعة: وتضم أبو زياد الموصلي، وأبو عمرو وسالم، وأبو همام الصعيدي، وعبد المهيمن، وبسام، وأبو

إسلام البوسنة، وأبو حفص العرب، وخباب، وصلاح اليمني (المقيمين في مشهد).

5 ـ مجموعة خامسة: كانت تضم شبابًا عزابًا بلا عائلات، وكانت تضم شخصًا يسمّى الضحاك تم إبعاده للمجموعة الأولى في طهران بعد اتهامه بسب خامنئي» حسب الليبي.

ويلاحظ من رسالة «أبو أنس الليبي» السبيعي إلى بن لادن، أن هؤلاء في الأغلب، وضعوا في مناطق شبه عسكرية معزولين عن الآخرين، وأنهم كانوا كثيرًا ما يتذمرون من المراقبة المشددة، ويثورون على الحرس الثوري، الذي قمعهم أكثر من مرة. ولكن الثابت أن قيادات أخرى استطاعت التحرك، كـ «الزرقاوي» الذي قرر بعد التشاور مع التنظيم الخروج إلى العراق، والحكايمة والقرعاوي ومحسن الفضلي وغيرهم.

ثانيًا: رجال القاعدة وإحياء القاعدة

إن الأعداد الكبيرة لعناصر «القاعدة» التي اتخذت من إيران ملاذًا آمنًا ومحطة لتجديد التنظيم بعد أحداث أفغانستان، ضمت عددًا من أبرز عناصر «القاعدة» الذين نجحوا في إنهاض التنظيم بعد هجمات 11 سبتمبر/ أيلول، وتنشيط عمل فروعه، والإشراف على عملياته في الشرق الأوسط والعالم. ويبدو من ترجمات هؤلاء التي نعرضها في ما يلي، خطورة الأدوار التي قام بها بعض هؤلاء وكفاءاتهم النادرة، في الاتصال والتنظيم والاختراق، ما

يؤكد فرضيتنا السابقة بأهمية الدور الإيراني في إحياء إرهاب «القاعدة».

وبينما كان بعض هؤلاء ورقة ضغط على تنظيم «القاعدة» نفسه، كان البعض الآخر ـ والغالب ـ ورقة ضغط على العالم والمنطقة والغرب، بغية إرهاقه وقبوله بدور إيراني في المنطقة، وحل المشكلات العالقة معها من قبل الدول الكبرى. وهو بالنتيجة ما مهد، فيما بعد، لحل مشكلة الملف النووي وتجنب إدارة باراك أوباما المستمر اتخاذ أي أجراء يزعج إيران أو حلفاءها، على الرغم مما قدمته من وسائل دعم كثيرة لا تقف عند الإيواء أو التنسيق أو اللقاء، ولكن التدريب وسائر أنواع الدعم أيضًا.

1 ـ أسرة زعيم القاعدة أسامة بن لادن

أقام ما يقرب من 24 شخصًا من أسرة زعيم «القاعدة» تحت الإقامة الجبرية من النظام الإيراني عقب غزو أفغانستان، منهم زوجتاه، وابنتان له كما ذكرنا، وأربعة من أبنائه الذكور. ولقد نجح ابنه سعد في الخروج عام 2008، ولكن غارة أميركية على الحدود الباكستانية استهدفته فقتل، ما وتّر العلاقة بين التنظيم والنظام الإيراني حينها، بينما خرجت إحدى ابنتيه طالبة العودة إلى السعودية في مارس/ آذار 2010[1]، ثم كان تحرير أغلب الأسرة وخاصة زوجاته قبل مقتله بقليل.

(1) «Bin Laden's Daughter Set Free from Iran,» CBS/AP, March 23, 2010.

2 ـ اليمني رمزي بن الشيبة

ولد في 1 مايو/ أيار 1972، وهو محتجز لدى الولايات المتحدة ومعتقل كـ «مقاتل عدو» في قاعدة خليج غوانتانامو الأميركية في كوبا. وهو متهم بأنه «المسهّل الرئيس لهجمات 11 سبتمبر/ أيلول 2001 في الولايات المتحدة». في منتصف التسعينيات، انتقل بن الشيبة كطالب إلى هامبورغ في ألمانيا. ويزعم أنه شكّل «خلية هامبورغ» مع محمد عطا ومروان الشحّي وزياد جرّاح لتنفيذ هجمات 11 سبتمبر/ أيلول.

كان بن الشيبة واحدًا من أربعة فشلوا في الحصول على تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة. وهو متهم بالعمل كوسيط للخاطفين في الولايات المتحدة، من خلال تقديم المال وتمرير المعلومات إلى الشخصيات الرئيسية لتنظيم «القاعدة». وبعد الهجمات، كان بن الشيبة أول من كُشف عن هويته علنًا من قبل الولايات المتحدة. وألقي القبض عليه في 11 سبتمبر/ أيلول 2002، في مدينة كراتشي الباكستانية. وقد احتجز من قبل وكالة الاستخبارات المركزية (السي آي آيه) في المواقع السوداء في المغرب، قبل نقله إلى غوانتانامو في سبتمبر/ أيلول 2006. واتهم أخيرًا، في عام 2008 أمام لجنة عسكرية وكان قد سافر إلى إيران في يناير/ كانون الثاني 2001 وهو في طريقه إلى أفغانستان

جدير بالذكر أن تقرير «لجنة 11 سبتمبر» لم يشر إلى زيارات بن الشيبة إلى إيران، مع أنه أشار إلى تقارير استخباراتية تفيد بأنشطة بن الشيبة في ألمانيا قدمتها الاستخبارات الألمانية إلى

اللجنة. وفي سبتمبر/ أيلول 2004 قدّم المدعي العام، ولتر همبرغر، أحد التقارير الاستخباراتية التي تشير إلى أن بن الشيبة سافر بالفعل إلى إيران بجواز سفره بعدما حصل على تأشيرة من السفارة الإيرانية في برلين. كذلك، قدم المدّعون الفيدراليون الألمان أيضًا، نسخة موثقة من مذكرة صادرة عن الاستخبارات الألمانية أرسلت إلى مكتب التحقيقات الفيدرالي (الإف بي آي) في نوفمبر/ تشرين الثاني 2001، توثّق سفر بن الشيبة إلى إيران في يناير/ كانون الثاني وفبراير/ شباط 2001. وتشير مذكرة الاستخبارات الألمانية إلى أن بن الشيبة حصل على تأشيرة من السفارة الإيرانية في برلين، ثم سافر إلى أمستردام في 27 ـ 28 يناير/ كانون الثاني 2001. ثم سافر بالطائرة إلى إيران في 31 يناير/ كانون الثاني 2001.

3 ـ محسن الفضلي مؤسس «جماعة خراسان»

اسمه بالكامل محسن فاضل إياد عاشور الفضلي، ويتحدر من أسرة شيعية في الكويت، لكنه اعتنق المذهب السني في صباه، ورحل إلى أفغانستان. وهناك عمل قريبًا من أسامة بن لادن، ضمن الحراسات الخاصة عام ألفين. عاد إلى الكويت بعد تفكك التنظيم جراء الغزو الأميركي، وأوقف في السعودية قبل أن يسلم إلى بلاده الكويت، التي لم تلبث أن أطلقت سراحه إلا أنه ظل مطلوبًا على القوائم السعودية لمدة عشر سنوات منذ يونيو/ حزيران 2005، لتمويله محاولات إرهابية فيها.

اتهمته السلطات الأميركية في قضية تفجير المدمرة «كول» أمام سواحل اليمن عام 2002، ودانته المحكمة الكويتية قبل أن يخلي الاستئناف سبيله لعدم الاختصاص، ولأن القضية خارج الحدود. وذكر اسم الفضلي في خطاب الرئيس الأميركي السابق جورج بوش، وقدمت مذكرة رسمية إلى الكويت، ثم اختفى الفضلي عن الأنظار إلى يوم إعلان السلطات الأميركية مقتله بغارة في سوريا خلال يوليو/ تموز 2015. وكان الفضلي قد تسلل عام 2013 مع آخرين إلى شمال سوريا، حيث شكلوا جناحًا تابعًا لـ «جبهة النصرة»، وصار ممثلًا لأيمن الظواهري، بعد مقتل الممثل السابق للتنظيم «أبو خالد السوري» (محمد بهايا) على يد «داعش».

حسب وزارة الخارجية الأميركية كان الفضلي مقربًا من بن لادن، لدرجة أنه كان ضمن مجموعة صغيرة من الأشخاص الذين علموا بأمر هجمات 11 سبتمبر/ أيلول 2001، قبل تنفيذها. كذلك تقول مصادر استخباراتية إنه كان زعيم «القاعدة» في إيران، وشارك في القتال في الشيشان وأفغانستان، واتُهم بتوفير التمويل اللازم لعمليات التنظيم في العراق. كما كان الفضلي في مقدمة المطلوبين في القائمة التي قدمتها كريستين تاونسند، مساعدة كوندوليزا رايس مستشارة الأمن القومي الأميركية، للمسؤولين الكويتيين في 2004، أثناء زيارتها للكويت، وأشارت إلى أنه «ضمن الأشخاص الخطرين جدًا».

4- «ياسين السوري»

أعلنت الولايات المتحدة آواخر ديسمبر/ كانون الأول 2011، عن مكافأة قدرها 10 ملايين دولار لمن يدلي بمعلومات تقود للقبض على «ياسين السوري»، وهو الاسم الحركي لعز الدين عبد العزيز خليل، وذلك بعد معلومات وزارة الخزانة الأميركية عن نشاطه المالي وسماح إيران له بحرية الحركة داخلها، والتنسيق والتمويل لعمليات «القاعدة» منذ العام 2005. ويرجّح دارسو الدفعة الأولى من وثائق أبوت آباد، أن يكون لـ «ياسين السوري» دور بارز في تسهيل خروج بن الشيبة ومحمد عطا من إيران وتأمينه، نحو تنفيذ عمليات الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول[1]. الرجل يعتبر من الجيل الثالث في القاعدة، وقد ولد في القامشلي بأقصى شمال شرقي سوريا. وعرف في مرحلة ما باسم «زين العابدين»، وفي فترة أخرى استخدم اسم «عز الدين عبد الفريد»، ولكن في السنوات الأخيرة يعتقد أنه استقر على اسم «ياسين السوري». فضلًا عن ذلك، استخدمته «القاعدة» مع النظام الإيراني كحقيبة لنقل الأموال، ووسيطًا لنقل المقاتلين بين العراق وباكستان (مرورًا بإيران). وفي العامين الأخيرين تركز نشاطه على سوريا من إيران، مرورًا بتركيا.

---

(1) Nelly Lahoud (With others), Letters from Abbottabad: Bin Laden sidelined?, The Combating Terrorism Centre at West Point(CTC), 3 May 2012, p44, footnote 88.

5 ـ عبد الغني المزودي

متهم في قضية هجمات 11 سبتمبر/ أيلول. ذُكر أن اجتماعًا عقد بوزارة الاستخبارات الإيرانية قبل أحداث 11 سبتمبر/ أيلول، حضره مسؤول في الاستخبارات حول مجسّم لعدد من المباني المرتفعة بمدينة نيويورك. وكشف الشاهد، الذي يكنّى بحميد رضا ذاكري أن مسؤول الاستخبارات كان يشير الى المجسم ويقول، إن هذه المباني ستتعرض لزلزال، في وقت قريب، والذي سيزول ليس هذه المباني فحسب بل الغطرسة الأميركية أيضًا، حسب وثائق محكمة نيويورك.

6 ـ «أبو حمزة مصطفى حمزة المصري»

حركي مصري كان المشرف على عملية اغتيال الرئيس الراحل محمد أنور السادات، وحكم عليه بالإعدام من قبل المحكمة العسكرية العليا في ديسمبر/ كانون الأول 1992 في قضية «العائدون من أفغانستان». بعد اغتيال السادات عام 1981م اعتقل، ثم التحق داخل السجن بـ «الجماعة الإسلامية» واقتنع بأفكارها (قبل تراجعات «الجماعة» حاليًا). سافر إلى أفغانستان وتنقل في دول عدة منها باكستان والسودان، واستقر به المقام في إيران في مدينة مشهد، حتى سلمته إلى السلطات المصرية سنة 2004. كان المسؤول عن الجناح العسكري لـ «الجماعة الإسلامية» الذي قام بعمليات كبرى عدة ضد الحكومة المصرية من منتصف الثمانينيات حتى عام 1997 أقام مصطفى حمزة مع قادة آخرين من

«الجماعة الإسلامية» في طهران مثل «أبو ياسر، الشيخ رفاعة طه» الذي رجع أيضًا إلى مصر بعد فترة. وفي عام 1998 تولّى إمارة «الجماعة الإسلامية» (رئيس مجلس الشورى) بعد استقالة الشيخ رفاعي طه. ومنذ ذلك التاريخ وهو في المنصب نفسه، إذ أيّدته القيادة التاريخية لـ «الجماعة» في مصر بعدما وافقها على بعض مراجعاتها التصحيحية.

7 ـ محمد خليل الحكايمة

كنيته «أبو جهاد المصري»، وهو قيادي سابق في «الجماعة الاسلامية» المصرية رفض مراجعاتها، وأعلن انتماءه لتنظيم «القاعدة»، وألّف بعض الكتب في الاستراتيجية العسكرية و«الجهاد الفردي». يرجح البعض كونه «أبو بكر ناجي» صاحب كتاب «**إدارة التوحش**» الشهير، ولقد توقفت كتابات كليهما بعد مقتل الحكايمة بغارة أميركية في باكستان أواخر سبتمبر/ أيلول 2008، وقضى معه فيها 32 من قادة «القاعدة» وطالبان. قبل مقتله، ترأس الحكايمة تنظيمًا سماه «الثابتون على العهد» في رفض مراجعات الإسلاميين. كما أسس «كتائب عبد الله عزام للجهاد في بلاد الشام»، والتي ترأسها من بعده صهره صالح القرعاوي حتى إصابته وتخلي جماعته عنه. تتحدث مصادر إسلامية وإعلامية مصرية أن أجهزة الأمن الإيرانية أبرمت اتفاقًا مع الحكايمة، تعهدت فيه بحمايته وإيوائه في مقابل إدارته إذاعة موجّهة من

طهران لتكون بوقًا لعناصر من «القاعدة» وعدد من المطلوبين من عناصر «الجماعة الإسلامية» لدى الدول العربية[1].

8 ـ صالح القرعاوي

مطلوب سعودي، شغل منصب قائد «كتائب عبد الله عزام: تنظيم القاعدة في أرض الكنانة وبلاد الشام». أقام في إيران منذ سبتمبر/ أيلول 2006، وكان يتخدها منطلقًا له متحركًا في سائر دول المنطقة، وحمل 14 اسمًا حركيًا. كان معروفًا بقدرته على المراوغة والخدع الأمنية، وارتبط بعلاقات وطيدة بتنظيم «القاعدة في العراق»، كما كان حلقة الوصل في تنفيذ عمليات لـ «القاعدة» في الخليج ولبنان، إلا أنه أصيب في إحدى العمليات وتخلت عنه جماعته وعاد إلى موطنه الأصلي.

9 ـ «أبو حفص الموريتاني»

حركي موريتاني عاد إلى موريتانيا عام 2012، وكان مستشار الشؤون الدينية لبن لادن، وخبير «القاعدة» في إيران في ما يتعلق بالشريعة الاسلامية، واسمه الحقيقي محفوظ ولد الوليد.

10 ـ «أبو الخير المصري»

عمل رئيسًا لمجلس إدارة تنظيم «القاعدة»، كما كان مسؤولًا

---

(1) انظر جريدة الأخبار اللبنانية ـ عبد الحفيظ سعد في 27 شباط/ فبراير سنة 2007.
http://www.al-akhbar.com/node/130478

عن العلاقات الخارجية للتنظيم، ومن ضمنها التواصل مع طالبان، كما تربطه علاقة طويلة الأمد مع زعيم «القاعدة» الحالي أيمن الظواهري وزعيمها السابق أسامة بن لادن.

11 ـ «سيف العدل»

اسمه الحقيقي محمد صلاح الدين زيدان، وهو مصري الجنسية من مواليد 1960. كان ضابطا في الجيش المصري. ثم صار مقربًا من بن لادن وسافر معه إلى السودان سنة 1992، ومنها انتقل إلى أفغانستان سنة 1996، واستقر في إيران بين عامي 2001 حتى عام 2010. كان أحد أبرز المرشحين لخلافة بن لادن، وبعد وفاة الأخير تولى زعامة التنظيم بشكل مؤقت إلى حين اختيار خلفه. يعد المسؤول العسكري الأبرز لتنظيم «القاعدة»، وكان المشرف على تنفيذ عمليات تفجير السفارتين الأميركيتين في تنزانيا وكينيا سنة 1998، كما كان المشرف على تفجيري الخبر والمحيا بالمملكة العربية السعودية سنتي 2003 و2005. وأثناء إقامته في إيران كان دوره جوهريًا في صناعة «الظاهرة الزرقاوية» وتنظيم «القاعدة في العراق»، وكذلك توحيد الفصائل المتشددة المختلفة تحت قيادة «الزرقاوي» وضم الأخير لـ «القاعدة». صنفته الإدارة الأميركية كأحد أخطر عشرة إرهابيين في العالم، ورصدت للقبض عليه مكافأة قدرها خمسة ملايين من الدولارات. لكنه نجح في خداع الجميع، والتخفي تحت اسم آخر هو اسم «أبي

المنذر المصري محمد إبراهيم مكاوي»، وتلبّس صورته، بفضل ذكائه الأمني، وقدرته على التحرك والتخفي والاتصال وإدارة العمليات. ولأهمية دوره وخطورته، شاعت أخبار أوائل العام 2015 أن «القاعدة» بادلته مع أربعة آخرين بالدبلوماسي الإيراني نور أحمد نكبخت الذي سبق خطفه من صنعاء في يوليو/ تموز 2013. ولكن لم يتأكد ذلك حتى تاريخه. كذلك ذاعت أخبار عام 2015 تفيد بأنه رحل للمشاركة في القتال في سوريا. لكن يرجح البعض الآخر بقاءه في إيران، ويبدو أن قدراته العسكرية والميدانية والاتصالية نجحت في حماية شخصيته وتحركاته من الانكشاف، وإن كان تأثيره ودوره الخطير واضحين بشكل كامل. ألّف «سيف العدل» عددًا من الكتب الاستراتيجية لتنظيم القاعدة، من أبرزها **«الأمن والاستخبارات»** و**«مبادئ الأمن»** و**«أمن الاتصالات»** و**«قافلة الشهداء على أرض قندهار»** و**«السيرة الجهادية للقائد الذباح أبي مصعب الزرقاوي»** و**«عمليات الكوماندوز الأميركية في أفغانستان»** وغيرها.

12 ـ «أبو محمد المصري»

عضو آخر في القيادة المركزية لتنظيم «القاعدة»، يعد من أكثر أعضاء «القاعدة» قدرة وتمرّسًا في تخطيط العمليات، كان الرئيس السابق لتدريب أفراد التنظيم قبل «سيف العدل»، ويعتقد أنه موجود في إيران أيضًا. ويحمل «أبو محمد المصري» عددًا من الكنى منها «أبو محمد الزيات» و«صالح» و«أبو مريم»، هو

صهر محمد عيد إبراهيم شرف وكنيته «أبو الفرج اليمني» مسؤول «اللجنة الشرعية» لجماعة «الجهاد»، الذي تسلمته مصر من الإمارات قبل ثلاثة أشهر. يعتبر من أوائل المؤسسين لـ«القاعدة»، وشغل لفترة قبل سقوط طالبان، مسؤولية «اللجنة الامنية» لتنظيم بن لادن، وكان من المقربين من الملا عمر حاكم طالبان أثناء إقامته في قندهار، وتشاع معارضته لهجمات 11 سبتمبر/ أيلول، ما أثر عبورًا على العلاقة بينه وبين أسامة بن لادن، لتخوفه من سقوط حركة طالبان. وتشير تقارير إلى أن «أبو محمد المصري»، كان إلى حد كبير من المنادين بالحفاظ على أدبيات جماعة «الجهاد» المصرية المحظورة، قبل انضمامها إلى «الجبهة العالمية لقتال اليهود والصليبيين»، ويرى «أن قتال العدو القريب خير وأولى من قتال العدو البعيد». اتهم مع «سيف العدل» بالإشراف المباشر على تفجيري السفارتين الأميركيتين بشرق أفريقيا 1998 اللذين أديا إلى مقتل 231 شخصًا، بينهم 12 أميركيًا، وكذلك في التفجيرات التي وقعت في المملكة العربية السعودية سنة 2003، أثناء وجودهما في جنوب إيران. ورفضت طهران اتهامات وزير الدفاع الأميركي دونالد رامسفيلد ومستشارة الأمن القومي في البيت الأبيض كوندوليزا رايس، يوم 17 مايو/ أيار 2003 لإيران، بدعم جماعات إرهابية مثل «القاعدة» وتطوير أسلحة دمار شامل. ومن جهته، قال مسؤول في المخابرات الأميركية في التاريخ عينه، «إن «القاعدة» في إيران ليسوا في عطلة، إنهم كانوا على اتصال مباشر مع خلايا بن لادن داخل السعودية»، وهو ما ظلت تنفيه إيران حتى أكدته اعترافات وشهادات قادة القاعدة أنفسهم ومؤسيسيها.

13 ـ سليمان أبو غيث

عضو في القيادة المركزية لتنظيم «القاعدة»، وشغل منصب الناطق الرسمي باسم التنظيم قبل اعتقاله وحجزه في الولايات المتحدة. وهو صهر أسامة بن لادن، وربما لهذا السبب تأخر السماح له بالخروج من إيران إلى تركيا ومنها إلى الأردن في أبريل/ نيسان سنة 2013، حيث اعتقل وسُلم إلى الولايات المتحدة الأميركية ليواجه القضاء. وحقيقة أنّ إيران سلمته إلى تركيا بدلًا من أن تسمح له بالتسلل إلى باكستان، كما سبق أن فعل مرات عدة خلال السنوات السابقة، تكشف عن توتر العلاقة بين السلطات الإيرانية وبين تنظيم «القاعدة»، على خلفية دورهما في الحرب بسوريا وملابسات مقتل أسامة بن لادن، التي يرجح أنها أتت عبر التجسس الإيراني عليه بعد إجراء عملية جراحية لإحدى زوجاته فيها وعودتها إليه.

14 ـ «أبو الليث الليبي»

يعرف أيضًا باسم علي عمار عاشور الرفاعي. عمل «أبو الليث» قبل مقتله في غارة طائرة أميركية من دون طيار (درون) كقائد شبه عسكري. كان نشطًا في شرق أفغانستان والمنطقة الحدودية بين باكستان وأفغانستان؛ ومارس هناك الحكم الذاتي بصلاحيات كبيرة؛ ويتمتع بعلاقات طويلة الأمد مع كبار قادة التنظيم.

15 ـ «عبد العزيز المصري»

عرف أيضًا باسم علي سيد محمد مصطفى البكري. وهو حركي

فعال في تنظيم «القاعدة»، وكبير خبراء المتفجرات والسموم، وضليع في مجال البحوث النووية منذ أواخر 1990، وتربطه علاقة وطيدة مع «سيف العدل» وخالد شيخ محمد.

16 ـ «أبو دجانة المصري»

حركي مصري عمل مدربًا للتفجيرات قبل اعتقاله، وهو عضو في حركة «الجهاد» المصرية؛ وزوج ابنة زعيم «القاعدة» الحالي أيمن الظواهري.

17 ـ محمد أحمد شوقي الإسلامبولي

هو «أبو خالد» محمد الإسلامبولي، الشقيق الأكبر لقاتل الرئيس المصري أنور السادات، وصهر زعيم «القاعدة» أسامة بن لادن. حكم عليه بالإعدام في مصر في قضية «العائدون من أفغانستان» سنة 1993. وحسب الأجهزة الأمنية المصرية كان يتنقل بجواز سفر جزائري تحت اسم «محمود يوسف» وكان له دور كبير في دعم مهمات تنظيمي «القاعدة» و«الجهاد» وتسهيلها، واشتهر أنه كان على علاقة جيدة مع الاستخبارات الإيرانية في وقت سابق، ومحل تكريم منها. وأقام في إيران مع أسرته منذ عام 2001، وكان من أوائل الوفود إلى هناك، لكنه عاد إلى مصر بعد «ثورة يناير، في 28 أغسطس/ آب 2011، وسلم نفسه للسلطات المصرية، بعد عشرين سنة قضاها في الخارج، منها 9 سنوات في إيران على الأقل. لم يغادر إيران إلا بناء على طلب من السلطات الإيرانية منه بالإضافة إلى 12 آخرين.

18 ـ ثروت شحاتة

ثروت شحاتة هو نائب الظواهري السابق، وخبير في تخطيط العمليات. كانت تجمعه علاقة احترام مع قادة «القاعدة» و«أبو مصعب الزرقاوي»، قبل مغادرته إيران لاحقًا. لجأ شحاتة إلى إيران عام 2001 بعد الغزو الأميركي لأفغانستان، مع مجموعة تنتمي لتنظيم «الجهاد» المصري و«القاعدة»، كان أبرزهم محمد الإسلامبولي شقيق خالد الإسلامبولي قاتل السادات. وترك شحاته إيران في أكتوبر/ تشرين الأول 2011، متوجهًا إلى تركيا، حيث احتجز لفترة بتهمة مخالفة قانون الإقامة، ومنها انتقل إلى ليبيا حيث جرى اعتقاله ثم تسليمه إلى السلطات المصرية.

19 ـ علي مجاهد

وظيفته توفير المتفجرات، وتدريب المجندين على الكومبيوتر والإنترنت، وتسهيل حركة تنقل المتشددين رفيعي المستوى من إيران إلى العراق. التقارير تشتبه به في تنفيذ الهجوم على مترو الأنفاق في نيويورك في ديسمبر/ كانون الأول 2005.

20 ـ «أبو أنس الليبي»

حركي ليبي يشتبه بعلاقته بتفجيرات شرق أفريقيا عام 1998، وكان عضوًا بارزًا في تنظيم «القاعدة»، وفي «الكتائب الليبية الإسلامية المقاتلة»، قبل أن يعتقل ويحتجز في الولايات المتحدة. مات قبل محاكمته عام 2015.

21 ـ «أبو الضحاك»

يعرف أيضًا باسم علي صالح حسين التبوكي، عمل كممثل للمجاهدين الشيشان في أفغانستان.

22 ـ «خالد السوداني»

عضو في مجلس شورى تنظيم «القاعدة»، ومن المفترض أن يكون موجودًا في الأردن أو باكستان أو إيران.

23 ـ «قاسم السوري»

«قاسم السوري»، ويعرف أيضًا باسم «عز الدين القسام السوري»، حركي يعمل على الربط بين قادة «القاعدة» في باكستان والعراق، وتخطيط وتنسيق العمليات الإرهابية في أوروبا مع العديد من الخلايا التابعة للتنظيم..

24 ـ «أبو طلحة حمزة البلوشي»

حركي كانت مهمته تسهيل وتوفير ما يلزم للتنظيم ويعمل في إيران.

25 ـ «جعفر الأوزبكي»

حركي عمل كممثل للقيادة العليا لتنظيم «القاعدة» للتفاوض على الافراج عن أعضاء القاعدة المحتجزين لدى إيران.

خاتمة

ثمة عشرات وربما مئات آخرون من عناصر وقادة «القاعدة» أقاموا في إيران، وتمتع كثيرون منهم بحرية الحركة في إدارة عمليات التنظيم وتكيفات فروعه، والإشراف على عملياته، بدءًا من 11 سبتمبر/ أيلول إلى عقد من الزمان بعدها، وما زال الكثير منهم ـ وكالعادة ـ تحت الحماية الإيرانية. كما أن إيران أصبحت تحت الحصانة من عمليات «القاعدة»، وكان التوظيف المتبادل من نظام الولي الفقيه لكل التنظيمات المتشددة السنية والشيعية على السواء، وتم التوظيف المتبادل في تحالف مشبوه عانى العالم والشرق الأوسط دائمًا ويلاته وجرائمه.

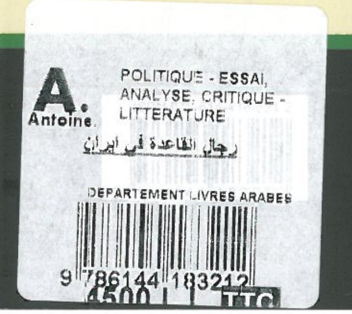
وبينما ظل العالم يطالب ببعضهم، ظلت إيران تتحفظ وتحمي أمثال «سيف العدل»، وتصنع «ظاهرة الزرقاوي»، وتمرر مفجري أحداث 11 سبتمبر/ أيلول، وتنتقل منها الأوامر لتنفيذ تفجيرات الرياض عامي 2003 و2005، رافضة حتى طلب الأصدقاء، ومستثمرة وحدها في التنظيم الخطر، وداعمة له. إذ طلبت الحكومة العراقية منها سنة 2006، تسليم نشوان عبد الرازق أو «عبد الهادي العراقي»، أحد قياديي تنظيم «القاعدة في العراق» وهو ما لم يحدث، بل تم تهريبه لأماكن بديلة ونائية يصعب الوصول إليها.

وظل الأمر ظنًا، حتى أتت الوثائق تلـو الوثائق والشهادات تلو الشهادات حججًا دامغة ووثائق ثبوتية على هذا التحالف المشبوه بين نظام الثورة الخمينية الذي يعتقد في تصديـرها لكل العالم، وبين تنظيمات رأت فيه النظام الوحيد الأقرب إليها والأفضل عندها، وحرص مؤسس «القاعدة» وخليفته على استثنائها وحصانتها من عملياته دون سائر العالم.

وما زالت إيران تراوغ العالم وتوظّف متطرفيه لصالح تطرفها، ولكن لم تعد القدرة الفائقة في التشويش ونفي هذه العلاقة عبر اصطناع العداء مجدية بعد تواتر الوثائق والاعترافات والدلائل الحية من رجالات «القاعدة» في إيران.

الكتاب

يبحث هذا الكتاب، في علاقة تنظيم «القاعدة» بإيران التي تبدو للكثيرين، طارئة ووليدة ظروف معينة، بينما هي قديمة وعميقة. فقد خضعت هذه العلاقة، شأن كل علاقة بين طرفين، لتحولات وتغيرات نظرًا لاختلاف طبيعة طرفيها. غير أن ممكناتها وحواملها، من تشابه المنطلقات إلى تشارك العداوات، ظلت قائمة وقابلة للتوظيف والتنسيق المتبادل. وقد استثمرت طهران علاقتها بتنظيم «القاعدة» وشبكتها إلى حد بعيد، لكي تبقى، كدولة وكنطاق جغرافي، استثناء من عمليات «القاعدة» ومن الإرهاب، من دون بقية العالم، كما كانت استثناء في الحرب عليه. لكنها كانت وما تزال، مصدر إرهاق للمنطقة والعالم، تصنع مختلف الفزّاعات عبر تدخلاتها، وعبر الحروب التي تخوضها بالوكالة.



www.aawsat.com